
الحزب الوطني في عام
١٣٦٦ - ١٩٤٧

نشرات الحزب الوطنى

(٤)



اننا اذا دعونا الناس للدخول في هذا الحزب لا ندعوهم باسم سلطة عالية ، او حاكم نافذ الكلمة ، بل ندعوهم باسم وطنيتهم ، باسم شرفهم ، باسم حقوق وطنهم ، باسم كرامة الانسان ، باسم ذكريات آبائهم واجدادهم ، باسم مصالح ابنائهم واحفادهم .

(مصطفى كامل)

مقدمة

كنت اقلب المجموعة السابقة لما أذاعه وكتبه الحزب الوطنى فى عام سنة ١٩٤٦ من الخطب والمقالات والبيانات السياسية . فكأنى كنت اقلب النظر فى شريط من الحوادث الوطنية ، تتابعت وتعاقبت واخذت بعضها برقاب بعض ، على نسق من الترتيب المنطقى ، يؤكد لكل كافر بالتاريخ ومنطقه ، ان الحوادث فى حياة الامم وان بدت متناثرة مبعثرة غير متصلة ، لا تسير اعتباطا ...

رأيت بلدى ووطنى العزيز مصر ، فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، تظن النجاح فى المفاوضة فتطلبها او يطلبها وزراء سنة ١٩٤٥ ، ويعتبرون الظفر بهذه المفاوضة فى ذاتها نجاحا يهنئون انفسهم عليه . ثم تقع المفاوضة فأرى فعلها المدمر ، واثرها المخرب ، يفعل فعله ويترك طابعه على التفكير القومى ، فالأمة انقسمت لمجرد الحديث عن المفاوضة الى معسكرين : واحد مستبشر بالمفاوضة ، داع لها ، معلن نتائجها العظيمة سلفا . وآخر متشائم متطير ، لا يرجو منها خيرا ، ولا يعلق عليها املا ... والمعسكران يتنابذان بالالقاب ، والحركة الوطنية بين الفريقين خامدة جامدة ، لا يجرى فى شرايينها دم ، ولا ينبض لها قلب او عرق . يسير دعاة المفاوضة والمؤمنون بها قدما ، لا يحفلون بتحذير الحزب الوطنى ، ولا يلقون بالا الى عظات التاريخ فى مصر ، وفى العالم كله ، ولا يكترثون بتجربة المفاوضة فى سنة ١٩٣٦ ، وما اسفرت عنه من القيود والاغلال ...

يسير دعاة المفاوضة ، والمؤمنون بهذه المفاوضة يملؤهم الأمل ان يظفروا لبلادهم بخير عميم على الموائد التى تمدها بريطانيا ، وتحسن استدراج الناس اليها ،

شأن الصائد الماهر الذى يعرف كيف يكسو شباكه كل يوم بمظهر جديد ، يخدع الصيد، ويغرى الطير ، ويجمع له خيراً كثيراً ...

وقد كان المفاوضون الذين ملأت نفوسهم (روح المفاوضات) ، يهزون اكتافهم لما يقوله الحزب الوطنى ، ولما قاله عند كل مفاوضة ، وهم يقولون لأنفسهم انهم اقوام عمليون يصلون الى الهدف من الطريق الذى يوصل اليه ، ويبلغون الغاية من حيث تطول الايدى ، وان الحزب الوطنى والسائرين على نهجه ، نظريون يطمئنون انفسهم ، ويتملقون كبرياءها بأنهم لا يتساهون فى شىء من حقوق بلادهم ، وان حبل الود لا يتصل بينهم وبين اعداء بلادهم ، وان مكانا لا يضمهم وخصوم امتهم . ولكنهم فى الواقع يفرون من المسئولية وينجون بأنفسهم عن التبعات التى تقتضيها مواجهة الواقع .

ولقد كان ظاهر الامر يعين أنصار المفاوضة ، وتفتت الروح المعنوية يكسبهم حججا لا يقولونها ، ويسبغ على دفاعهم سحرا يجمع حول معسكرهم المؤيدين والانصار ، فقد كانوا يقولون ساخرين : لقد آمنا بأن المفاوضة بلاء مستطير ، وانها لا تؤدى الى كسب الحق كله ، ولكن ما الذى يؤدى الى الحق ، وما الذى يمنع عنا بلاء المساومة . أليس الحرب والقتال هى السبيل الى الترفع عن عار المساومة والمفاوضة . حسنا !

نعم معكم فى كل الذى تقولونه ، ولكن ما السبيل الى حشد القوى العسكرية وتسليح الجيش ، وامداد الامة بما يعينها على القتال ؟ أليس الطريق الوحيد المؤدى الى هذا ، هو ان ترتفع عنا رقابة بريطانيا ، وان تتراخى عن شؤوننا قبضتها ، وان تنصرف عن خاصة امورنا عيونها ؟ فاذا كان هذا هو وحده الطريق الى ما ترجون ونرجو ، ففيم التردد فى ان نعقد احسن ما يكون بيننا وبين بريطانيا من المعاهدات والعقود ، ثم ننطلق الى مخازن الاسلحة ومصانعها فى العالم كله ، نشترى اجود ما لديها ، ثم نسلمه الى شباب الامة بعد ان نعلمه

وندربه ، ونرأب ما تصدع من بدنه ، ونجبر ما تكسر من نفسه ، ثم نطلقه على بريطانيا وعلى غيرها ، لنجدد عهد محمد علي ، وعهد صلاح الدين من قبله ، بل عهد رمسيس وتحتمس من قبل الجميع ؟

كانوا يقولون هذا القول في حماسة المتصوف ، وكان السامعون مأخوذين ببلاغة هذا المنطق المتماسك المحبوك .

وكان الحزب الوطني الذي ولد في ظل المقاومة ، وكان النضال عنوان حياته ، وسر وجوده ، يسمع هذا المنطق متذكرا ان سعد زغلول ، زعيم الأمة ، والاتفاق مع بريطانيا ، قد أجمله على مسمع من العالم ، ومشهد من نواب الامة يوم ان طلب اليه نواب الحزب الوطني ان يعمل شيئا فقال : « هل عندكم تجريدة ؟ »

ولما رأى ان هذا السؤال الساخر قد ألهب أكف نوابه بالتصفيق ، أردفه ، في صوت الطبيع الكيس الذي لا يأبى نصحا ، ولا يكره إرشادا فقال : « دلوني على السبيل » ...

والحق ان المدرسة الزغلولية ، بما أفرخته من زعامات هذه الايام في حاجة إلى من يرشدها سواء السبيل ، وقد أرشدها الحزب الوطني ، ولكن لا يكفي ان تعلم الانسان كيف يطلق السهم ، لينتفع بالدرس ، فان الذي يطلق السهم قبل الساعد المشدود ، القلب الذي ربط عليه صاحبه بإيمانه وتقواه .

ولقد كنا نظن ان الحقائق التي كشفت عنها معاهدة سنة ١٩٣٦ كفيلة بان تبين للناس ان ماتصوروه من أنهم سيملكون عند توقيعها أن يشتروا الاسلحة ، وان يضخموا في الجيش ، وان يقيموا المصانع ، وان يتحرروا من ربقة السيادة البريطانية ، السياسية والعسكرية ، ليس إلا وهما . لان بريطانيا لا تعقد معاهدة الا اذا أبقت فيها خيطا ولو رفيعا ، يربط عنق المفاوض وعنق أمته بأنامل السياسة البريطانية ، فاذا جد الجد ، وتحقق الخطر ، عبثت هذه الانامل بهذا الخيط الرفيع ، فأحس الذين وثقوا ببريطانيا ، وارتضوا ذمتها ضمانا ، بمثل شعور الاختناق ..

ان منطق المفاوضة سليم جدا ، ومقنع جدا ، اذا كان منطق الامة وزعامتها هو ما عبر عنه سعد زغلول بقوله : « دلونى على السبيل ؟ وهل عندكم تجريدة » أى اذا لم تحاول الأمة ان تستقل بنفسها ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، فى ميادين الاقتصاد والتعليم ، واذا لم تؤجج فى نفوس ابنائها سرا إذا عز ذلك جهرا ، روح الكراهية والخصومة للاعداء ، والترفع عن التعاون معهم ، او الاقتراب منهم او شراء ما يبيعون او تداول ما يوزعون .

والانجليز حينما يرون ذلك ويواجهونه ، وحينما يرون اصرارا عليه من الشيوخ قبل الشبان ، يبطشون اول الامر بالشعب ، ويصلونه عذابا مستطيرا ، ولكنهم يكفون عن ذلك تحت ضغط الاحداث التى لا تدع انسانا فى أمن ، ولا انسانا فى ضعف ، ولا أمة بمنجاة عن الاعاصير ، ولا دولة فى الحضيض . وهذا فى الواقع سر الخلاف بين اقوام يرون ان المفاوضة ايسر الطرق وابسطها ، واقوام يؤمنون بان النضال والمقاومة ، هو اشرفها واضمنها .

ومن ثم كنت اقرأ صيحات رئيس الحزب الوطنى وكتاباته تفيض تحذيرا وانذارا ، وتبدو لغير العارفين انها تفيض ايضا تشاؤما ويأسا ، فى وجه المفاوضين ، وكأنها صرخات فى واد ... أشبه شىء بصيحات عامل الانقاذ الذى يلقى بحبل النجاة للغريق ، مشفوعا بالتنبيه ، مقترنا باليد الممدودة لتخليصه مما اجتمع عليه من لجج الموج ، والغريق فى محنته واختناق انفاسه ، واختلاط الاشباح والاشكال امام انظاره ، يصفع منقذه ويكاد يهوى به معه الى اعماق الموت ، وأغوار الهلاك ...

أقبل المفاوضون فى سنة ١٩٤٦ على المفاوضة والحزب الوطنى لا ينفك يدعوهم الى تركها ، أو على الاقل التجمل فى اظهار اللهفة عليها ، والتزام الحذر بعدم التقدم بمشروعات مقيدة لمصر ، وترك بريطانيا لتقدم هى المشروعات التى تختارها ، لنرفضها طالما انها لا تحقق كل المرجو ولا تتفق مع كمال المطلوب ..

ولكن هذه الصيحات المخلصة لا تضيع أبدا ، فان المفاوضات التى بدأها

اسماعيل صدقى حتى انقطعت خيوطها فى يده ، فاستلمها محمود النقراشى من بعده ، ووصل ما انقطع فيهـا ، لم تلبث حتى تقطع كل خيط فى نسجها ، واذا بزعيم المؤمنين بالمفاوضة ، واعظم خلفاء سعد زغلول فى الدعوة لها .. اذا بالنقراشى باشا نفسه يقطع المفاوضة ...

على كل حال كان كسبا لا ينكر ان يكون هذا المفاوض العريق ، مؤمنا بمخاصمة بريطانيا ومخاشنتها ، وهلل الحزب الوطنى بهذه الخطوة وسجلها ، ونصح بما يجعل الاقدام عليها منتجا ونافعا ... وتوالت نصائحه وارشاداته ...

وعلى الرغم من أن الحزب الوطنى كان يعلم أن الرسميين الذين سيحتلون مصر فى هذه المعركة حديثو العهد بهذا النضال الجديد ، فانه أبى أن يشكك فى رقدتهم منكراً ذاته ، داعيا لهم بالتوفيق .

واذا كانت المجموعة الاولى قد سجلت المرحلة الاولى من مراحل القضية المصرية بعد الحرب العالمية الثانية ، فان المجموعة التى نقدمها الآن ، تسجل المرحلة الثانية من مراحلها ، وهى مرحلة ما كان قبيل قطع المفاوضات ثم قطعها والذهاب إلى مجلس الامن ثم العودة منه .

فى هذه المرحلة بلغ التحفز للنضال إلى ما كان جديرا بان يستغل فى خدمة الاهداف الوطنية المختلفة ، وفى تغذية روح الايثار ، وانكار الذات فى البلاد ، واستحثاث الخطى الى الاعمال العامة فى مختلف النواحى ، والخروج بالامة من النطاق الحزبى الضيق الى حياة قومية صحيحة تتنفس فيهـا هواء جديدا ، ولكن للاسف مرت هذه الفترة الجليلة مرورا سريعا ، ولعله مرورا سطحيا ايضا ، وران على البلاد جو ثقيل من الخمود ، واستطاعت روح المساومة ان تعاود بسط ما كان لها من سلطان .

فى مجلس الامن وقف رئيس الحكومة المصرية يقذف فى وجه بريطانيا امام العالم بأحرج التهم ، وبأعلى الصوت .

فى مجلس الامن استعاد رئيس الحكومة تاريخ الاحتلال البريطانى فى مصر ، واعتبره سرطانا ، ووصم البريطانيين بالقرصنة ، فلما انتهت معركة مجلس الامن رأى الناس البريطانيين والمصريين الرسميين يتحدثون عن الصداقة ، كأن كل ما قيل كان من إملاء الظرف وحده ، فلم يكن تعبيرا عن روح جديدة ، ولا تنفيذا لسياسة جديدة .

ولذلك فاننا ونحن نقدم هذه المجموعة نحس ان الحزب الوطنى لم يدخر وسعا فى ان يرسم الطريق الى نهايته ، وان يبين ما يجب ان يعمل بعد معركة مجلس الامن ، وهو عمل لا يزال الى اللحظة التى نكتب فيها هذه السطور فى حاجة إلى حكومة تنفذه ، والى روح عامة تحتضنه ، وترعاه ، وتصل به الى غاية مداه . والحزب الوطنى لم يدخر وسعا لذلك فى وجه صعوبات متكاثفة فى خلق هذه الروح ، وبثها بين الشباب ، وهو يجد — رغم كل شىء — مايؤكد امله فى ان السعى لا بد ان يثاب ، وان الجهد لا يمكن الا ان يجازى ، فالله لا يضيع أجر من احسن عملا .

فدعوة الحزب الوطنى وجدت بين صفوف المثقفين الذين يئسوا من الاحزاب فى مصر ، واعتبروا العمل السياسى (صناعة) لا يتقنها إلا جماعة من محترفيها ، المنقطعين للكسب منها ، وأن (العقلاء) لا يحسنون منافستهم فيها و (الامناء) لا يقوون على احتمال متاعبها ، و (المخلصون) لا يستسيغون مرارتها ، قد عادوا وهم أكثر املا ، واشد عزما فى تطهير المسرح الوطنى من الدجاجلة والمتجرين والخوارين ودعاة الهزيمة .

ولذلك كان السؤال الذى يتردد دائما على مسامع زعماء الحزب الوطنى والمتحدثين باسمه : « ماذا اعددتم للامة فى ميادين الاقتصاد والتعليم والصحة ؟ » وهو سؤال لم يثقل ابدا على اسماعنا نحن الذين نعرف كيف ان برنامج الحزب الوطنى كما كتبه مصطفى كامل ، وكما طبقه الحزب الوطنى عمليا هو برنامج شامل لم يدع سبيلا من سبل التعمير والانشاء ، إلا واعتمده وأدخله فى حسابه ، فضلا عن انه برنامج (علمى) ، يستند إلى أسس صحيحة دولية وداخلية . فلم يوضع

ارتجالا ، ولم يشغل بالتفاصيل دون تأصيل الأصول ، أوالرجوع إلى الكليات وتقعيد القواعد .

فهو في السياسة الخارجية يدعو إلى :

أولا — بطلان كل معاهدة أو اتفاق يتم في ظل القوة ، ويعقد تحت الاكراه الصريح أو الضمني — الأدبي أو المادي .

ثانيا — اعتبار المعاهدات الثنائية التي تعقد بين دولتين مثار نزاع دولي في المستقبل ، لانها عادة تتضمن تهديدا ضمنيا لدولة ثالثة أو لمجموعة من الدول .

ثالثا — ان الاحتلال البريطاني (تطبيقا للمبدأين السابقين) تهديد للسلام الدولي ولأمن الانسانية . فيجب حشد القوى الدولية لازالته لا رفعا للعدوان عن مصر وحدها ، بل لاقرار الطمأنينة الدولية ، واشاعة الاستقرار بين الشعوب .

رابعا — ان الاحتلال البريطاني لمصر ، هو الذي أدى إلى احتلال فرنسا لتونس ، واحتلال ايطاليا لطرابلس ، وانه سيؤدي الى احتلال دول اخرى .

أما في الداخل فيؤمن الحزب الوطني :

اولا — بأن الكفاح السياسي يجب ان يكون شعبيا ودستوريا .

ثانيا — ان الشعب يجب ان يهيأ ليقوم بقسطه من هذا الكفاح ، فيتعلم ويثقف اذ لا يكفي ان يتلقى العلوم المدرسية ، دون الثقافة السياسية التي تعرفه حقوقه وتطلعه أولا بأول على تطورات كفاحه مع خصومه .

ثالثا — إن حقوق الشعب الاقتصادية مكملة لحقوقه السياسية . وان المصري لا يستطيع ان ينتفع بحقه الدستوري ، ولا يفهم خطر الاحتلال الاجنبي ، الا اذا توفرت له حياة انسانية .

رابعا — ان نظام الضرائب هو وسيلة من وسائل ايجاد التوازن الاقتصادى فى البلاد من الطبقات المختلفة ، فيجب اعادة النظر فيه من حين الى آخر ، كلما مال الى جانب من الشعب دون جانب .

خامسا — ان التعاون فى الانتاج والاستهلاك ، وسيلة ناجعة من وسائل تلطيف حدة التنازع الاقتصادى ، فيجب تدعيمه وتوسيع نطاقه .

سادسا — ان ادراك العمال الوطنى وتثقيفهم السياسى ، لا يتم الا بتنظيم نقاباتهم وكفالة الحياة لها .

سابعا — ان ميزانية الحكومة المصرية لم تتسع بعد للخدمات الاجتماعية التى تحمى المجتمع من كثير مما يتعرض له افراده من المرض والتبطل .

ولقد كانت هذه المبادىء شديدة الالحاح على ذهن محمد بك فريد ، رئيس الحزب الوطنى الثانى ، فكان دائب التفكير فيها ودائم العمل على تلقيح التفكير السياسى بها . فلم تخل خطبه السياسية الجامعة ، من هذه الروح الاقتصادية الاجتماعية التى لم يشاركه فيها مشارك من السياسيين الذين عاصروه او السياسيين الذين جاءوا بعده . ولو روجعت الخطب السياسية منذ وفاة محمد بك فريد الى اليوم لما وجد فيها القارىء اشارة جدية الى مشكلة من المشاكل الاقتصادية ، ولما لمح فى سطورها روحا اجتماعية ضعيفة او قوية .

ومع تفرد الحزب الوطنى بالسعى فى بذر بذور النقابات العمالية ، وفى الاصرار فى تأسيس الجمعيات التعاونية ، وفى السعى الجدى لانشاء مدارس الشعب لنشر الثقافة الوطنية بين طبقات العمال ، وفى احياء الفقراء ، فان كثيرين من انصاره — فى هذه الايام — لا يرون فى هذا العمل المتعدد النواحى ، ما يمكن ان يسمى (برنامج اقتصادى) للحزب الوطنى .

وعلى الرغم من ان هذه المسألة شائكة ودقيقة ، وهى فى الوقت نفسه لم تطرح بعد على مؤتمر من مؤتمرات الحزب الوطنى ليقول فيها كلمته . فانى ارى ان لوثة

(البرامج) التي استولت على عقول الشبان هذه الايام في حاجة الى مجهود قوى لتصحيح الامور في اذهانهم .

* * *

فالحزب الوطني حركة لتحرير وادي النيل من الاستعمار الاجنبي ، وهذه رسالة ضخمة في حاجة الى العقول والسواعد من كل طراز . فالاشتراكي ومن يدين بالتفكير الاسلامي البحت ، والرأسمالي المتطرف ، مطالبون بأن يقفوا تحت لواء هذه الرسالة وان يعملوا صفا واحدا للدفاع عنها ، وللبذل في سبيلها . وهي رسالة لا تتعارض مع اتجاه أي منهم ، لان كلا منهم يعتقد ويؤمن بأن الاستعمار خطر انساني يجب القضاء عليه .

وهذا القدر المشترك بين هؤلاء يكفي لأن يتعاونوا جميعا في محاربته وتخليص وادي النيل منه ولا بأس أن يرى الاشتراكيون الحرية الاقتصادية الضمان الاول للحرية السياسية ، وان يرى الرأسماليون في الاستعمار الاجنبي ، خطرا مهددا لنشاطهم ، ومحددا لأرباحهم ، ومتدخلا في توجيه منشآتهم ومؤسساتهم ،وان يرى المفكر المسلم ، ان المذهب الاقتصادي الاسلامي شيء ثالث بين الرأسمالية والشيوعية ، وان تحريم (الربا) و (القروض ذات الفائدة) يحبس الملكية في قفص ، ويحول بينها وبين التغول ، ولاشك ان هؤلاء جميعا يجدون لديهم الفرصة كاملة لمناقشة نظرياتهم والدفاع عنها تحت لواء هذه الرسالة الضخمة العليا . وهي حرية وادي النيل ووحدته .

ولقد احسن الهنود حينما انشأوا اداتهم السياسية الضخمة (مؤتمر كل الهند) فقد كان في وقت واحد حزبا واحدا ، واحزاب مجتمعة . فكان فيه المحافظون ، والمجددون ، والمتطرفون ، والمعتدلون ، والشيوعيون ، والمتصوفون ، والالحاديون ، والمسلمون ، والهندوكيون ، والمنبوذون ، والرأسماليون ، والعمال ، والاشتراكيون . ولكنهم جميعا كانوا زملاء متعاونين في الميدان

السياسى يسدد كل منهم بقدر طاقته ما يستطيع من الضربات في صدر الاستعمار البريطانى ونفوذ الانجليز فى الهند .

واذا استعرضنا اسماء الشخصيات الكبرى التى تكون منها حزب (مؤتمر كل الهند) ، لرأينا هذه النماذج المتباينة فى التفكير الاجتماعى ، ولرأينا على ذلك شيئا مشتركا بينهم ، هو خصومتهم لبريطانيا . فغاندى يقيم تفكيره السياسي والاقتصادى ، على اساس من الهندوكية والمسيحية والتصوف . وهو يدعو الى السلام ويكره العنف ، ويكره الحضارة المادية ، والى جواره جواهر لال يكاد يكون شيوعيا ، وهو يدعو الى الحضارة الاوربية ، ويؤمن بها ، ومحمد على جناح يدين لاوربا بمادئه المادية ، وللاسلام بحياته الباطنية والعقلية .

فالحزب الوطنى وهو حركة تحرير وبعث لايجب ان يكون مذهبا اجتماعيا او اقتصاديا ، وان كان الحد الادنى ، وهو الحد المشترك من جميع انصاره وزعمائه ، هو الاسراع بهدم هذا الوضع الاجتماعى الاقتصادى القائم على انقاض المجد المصرى الذى قوضه الاحتلال البريطانى الذى استغل كل شىء لخدمته ، فأشاع الفوضى والخلل فى الجهاز الحكومي وفى التفكير الاقتصادى فى البلاد ، فراكم على رؤوس الملايين من ابناء البلد الجهل ، وقيدهم بعلل واصراض بدنية وعقلية اشفت بهم على التهلكة ، وبددت قواهم ، واتلفت آدميتهم .

هذا هو الحد الادنى الذى لا يقبل الحزب الوطنى ان ينزل عنه ، والذى لايتصور ان انسانا عاديا ، مهما كان لونه ، او كان مذهبه ، ينازع فى لونه أقل القليل .

ان الحزب الوطنى يدعو جميع ابناء وادى النيل ان يستأنفوا من جديد ، الهجوم على الاحتلال والاستعمار البريطانى ، فقد اتى مددا من الولايات المتحدة ، فقد وقفت فى صفه ، واجتمعت كلمتهما على ان يغيروا فى شكل الاستعمار ، دون موضوعه ، وان يلونوا مظهره ، مع الاحتفاظ بجوهره ــ وانعقد العزم بينهما على

ن تبقى الدنيا لها سوقا للمتاجرة ، وان تتحول القيم الانسانية الكبرى الى سلع تباع وتشرى ، وان تفرق المثل العليا فى ترف سينمائى يخلقه ساسة الانجلوسكون فتختنق منه الحقائق الكريمة فى حياة البشر .

ان انتصار المادية الانجلوسكسونية فى اخضاع البشر معناه ان الحياة الانسانية ستستحيل الى صراع مادى تافه ، وان الناس جميعا سيعيشون عيشة امريكية ملؤها التزاحم والتنافس ، والوقوف فى اوجه الانجلوسكون هو واجب روحى — فضلا عن كونه واجبا وطنيا — فعلينا اذن ان نضم الصفوف ، وان نواصل سعينا فى دأب ، وفى ايمان ، مستهدين ارواح زعمائنا الذين رسموا لنا الطريق .

***

إن الحزب الوطنى وزعماءه وأنصاره ، عاشوا حياة ملؤها الشظف ، والشدة ، ولاقوا فى الكفاح من أهوال التضييق والعذاب ، ما كان جديرا بان يثنى عندهم العزم ، يبعث فى قلوبهم الخوف ، ولكنهم اعتبروا أن (العيش فى خطر) ، هو طابع حياة المؤمنين ، وسمة وجودهم .

فليكن أبناؤهم ، فى مثل شجاعتهم وصبرهم . وفى مثل ايمانهم وثباتهم . وفى مثل تجديدهم وخلقهم . وليبعثوا فى كل مكان ، فى وادى النيل ، حاملين معهم بذور هذا الايمان ، محركين به الهمم والقرائح ، فان وادى النيل يستقبل عهدا مجيدا ، والامجاد تحتاج الى قلوب قوية ، والى سواعد قوية .

فتحى رضوان
رئيس اللجنة العليا للحزب الوطنى

ماض حي !

او ما أشبه الليلة بالبارحة

فى سنة ١٩٢٤ كانت فى دست الحكومة وزارة برئاسة سعد زغلول باشا ، وكانت الطبول تدق لمفاوضة جديدة تعتزم الحكومة المصرية خوضها مع حكومة بريطانيا التى كان يرأسها وقتذاك المستر رامزى ماكدونالد ، زعيم حزب العمال البريطانى ، الذى وصف بانه صديق سعد باشا والوفد . وفى هـذه الأيام وقف الحزب الوطنى يحذر من مغبة هذه المفاوضة وينبه إلى خطر الاقدام عليها . فارتفعت أصوات الصبية والجهلاء يحصبون الحزب ورئيسه بالطوب وبالاتهام معا . وبلغ الهوس الحزبى حد الخيانة ، فقد كانت الجماهير تهتف بسقوط السودان من أجل حافظ رمضان .. وكانت الوزارة قد تورطت فى بضعـة اخطاء وطنية شبيهة باخطاء الرعاع والسوقة ، فقد أبت أن تنص فى خطاب العرش الأول الذى تقدمت به الى البرلمان فى سنة ١٩٢٤ على استقلال السودان ، واكتفت بالوعد بالعمل على تحقيق (الأمانى القومية) . وكانت قد باركت الدستور المصرى الذى هاجمته من قبل ، وأقرت قانون التعويضات للموظفين البريطانيين الذى استغنت الحكومة عن خدماتهم بعد أن كانت ترى فيه تبديدا لأموال المصريين .

وقد سجلت الخطبة التى ألقاها الاستاذ حافظ بك رمضان (حافظ باشا رمضان) رئيس الحزب الوطنى التى ألقاها فى ١٩ من مايو سنة ١٩٢٤ كل هذا ، وحفظت لأبناء الحزب الجدد صورة من جهاد الحزب فى ذلك الحين ، فرأينا ان نستفتح بها هذه المجموعة ، ليتصل الماضى بالحاضر ، وليفهم شباب اليوم ما دبر لقضية وطنهم من سنين ، وليعرفوا الفوارق العقلية والروحية بين رجال الحزب الوطنى ، وغيره من السياسة ، وليؤمنوا بان المدرسة الوطنية التى وضع اساسها مصطفى كامل ، تختلف فى كل شىء عن المدرسة الحزبية التى أقام بناءها سعد زغلول .

الخطابة السياسية الجامعة

لحضرة صاحب العزة الرئيس حافظ رمضان بك

كلمة الشكر

أيها السادة ، أيها الاخوان الأعزاء :

اشكركم شكرا جزيلا . اذ انتم لا تزالون بحمد الله مجتمعين على هدى الايمان الصحيح رغم زعازع الحوادث متآخين فى الله وفى نصرة المبادىء القويمة رغم الكفر بها وجحودها . متحابين متحدين تجمعكم فضيلة الاخلاص للوطن وتفرقكم رذيلة الخداع المموه بما يشبه الاخلاص .

انتم جند الحق وناصروه ، واعداء الباطل وقاهروه ، استوجبتم لانفسكم الشكر بما سعيتم الى هذا المكان ، لتجددوا عهدا تتساندون فيه لنصرة الحق ولتؤكدوا موثقا تتعاضدون به على اعلاء كلمة اليقين ، ولتنشروا بعد ذلك من مبادئكم الخالدة اعلام الوطنية الحقة والاخلاص النزيه ، فتخفق على ارض الوطن المقدسة .

تناولتم الدعوة الى هذا الاجتماع فجئتم مسرعين يحدوكم الاخلاص لمصر العزيزة التى فنيتم فى حبها ، ويؤمكم الايمان بما لها من حق لا يضيع وانتم احياء ، وواجب لا يهمل وانتم عليه قادرون ، فكانت تلبيتكم الدعوة واجابتكم النداء

* نشرت فى جريدة « اللواء المصري » فى ١٩ مايو سنة ١٩٢٤ .

شهادة تتلون بها على الناس جميعا ان الخير لايزال فيكم ، وان مبادىء الخلاص والنجاة لا تعدم انصارها وانتم موجودون .

العودة الى الانتخاب

علمتم اننا استأنفنا دخول المعركة الانتخابية ، فهل علمتم لماذا اقدمنا على هذه التجربة الثانية؟ اقدمنا على الانتخابات كما اقدمنا اول مرة لالهوى نفسي ولا لشهوة ذاتية ، فقد قبرنا منذ ايامنا الاولى كل شهوة للنفس ، ودفنا كل هوى للذات . قلبوا صحائف ماضينا وتأملوا حاضرنا هل ترون فيها زلة قدم او فتور عزيمة . شغفنا ببلادنا واتقينا الله في وطن ليس لنا غيره ، وخفنا التاريخ في أمة نحن من أبنائها المسئولين عنها . أقدمنا على الانتخابات لنزداد اعتقادا اننا لم نهمل حق الامة علينا ، ولم نقصر في واجب هـذا الوطن الذى فرض الله علينا ان نعمل لتحريره ونجاهد لانقاذه . ولقد ابرأنا ذممنا اول مرة ، ونحن الآن لا نطمع في اكثر من ان نبرىء ذممنا مرة اخرى .

نصح الناصحين

نعم قال النصحاء لنا هونوا على انفسكم واخفضوا من حسن ظنكم واتخذوا لوجوهكم براقع من الخداع ولو يوما واحدا ، لتخلبوا ألباب الناس بالباطل ، وارتدوا لباس الرياء ولوساعة واحدة لتفوزوا بتأييد المخدوعين وثقة المغرورين.

معاذ الله نتقبل نصيحة لا يراد بها الا اليسر لذواتنا ، والله يعلم اننا لا نريد الا النصر لمبادئنا .

وهل يعلم النصحاء ان العقيدة الوطنيـة الصحيحة اذا ما تدنست بأدران الضعف والرياء واذا تلوثت بجرائم التمويه والخداع سقطت من علياء سمائها واضاعت مفاتيح القلوب ؟ ايطلب منا الرياء والخداع نحن الذين عشنا حياتنا

نغزوا القلوب والارواح بهوى الوطن وشهوة استقلاله فما لان لنا عود وما فترت لنا عزيمة ؟ ايطلب منا ما لا نستطيع اتيانه ولا نحسن اتقانه ؟! لو يدفع النصحاء ثمن نصائحهم الخاطئة لقدموا الافلاس تدليسا .

لا لا ايها السادة ، سيروا فى طريقكم طريق الصراحة والاقدام ، واعلموا أن الفضيلة مرتع خصيب للوطنية الصحيحة ، وأن العلم مهادها الموطأ ، فحاربوا الرذيلة المتفشية حيثما وجدتموها ، قاتلوا الرياء وطاردوا النفاق اينما كان وايناما كنتم. ولتكن منكم للوطنية الصحيحة جمرة متقدة ترسل اشعتها فتهدى بنورها وتكوى بنارها ، تهدى الابرار المخلصين وتكوى الاغرار والخادعين .

أد الواجب ودع ما يكون

نعم ايها السادة تقدمنا الى الانتخابات وشعارنا دائما « أد الواجب ودع ما يكون » تقدمنا الى الانتخابات لنسبر غور الحالة التى وصلنا اليها . نريد ان نعرف هل زالت غشاوة الابصار والى أى حد زالت ؟؟ وهل انكشف الحجاب عن الحقائق والى أى درجة انكشف ؟ نريد ان نعلم هل اتعظ الناس بما تتلوه عليهم الحوادث كل يوم ، هذه الحوادث التى تنطق بنفسها ، والتى تريهم كيف تتبدل المظاهر فى من لم يعتصموا بالمبدأ الصحيح ، وفى من ساروا وراء الاشخاص لاشخاصهم وهجروا المبادىء حيث لا مبدأ لهم . هذه الحوادث التى تقص على الناس كيف يسهل عند من سموا لهم ان يتناقض فيهم الماضى والحاضر ويتنافر فى اعمالهم القابل والدابر .

مواقف الوزارة

وقفت الوزارة الحاضرة مواقف كانت فى ظاهرها الى جانب الشعب ثم وقفت بعد ذلك مواقفها وهى فى دست الحكم . فهل ينكر الرجل الذى له أذن تسمع وعين ترى وعقل يدرك وضمير يحس ويشعر . هل ينكر الرجل ذو الكرامة والصدق ان المواقف تبدلت والاقوال تغيرت والآراء تناقضت والخطط

تنافرت ؟؟ هل ينكر الرجل النزيه ان مواقف الوزارة فى دست الحكم جاءت أصدق دليل وأقوى برهان على انها لم تكن جادة فى مواقفها التى ظهرت بها الى جانب الشعب ؟ وماذا ينفع الجهاد اذا كان المقصود من ورائه اسقاط وزارة واعتلاء اخرى مكانها ما دامت سياسة البريطانيين نافذة كالسهم فى صميم الحقوق المصرية وما دامت سياسة الوطنيين الماجدين منقوضة بسياسة المتحرفين المتمجدين ؟!

ماذا يقول ابناؤنا واحفادنا يوم يقرأون صحيفة تاريخنا الحاضر ويوم تطالب منهم واجباتهم الوطنية ان يحكموا فينا بما لنا وما علينا ؟ سوف يبدو لهم ما يبدو لنا الآن . وسوف يحكمون بما نحذر الناس وننصحهم باتقائه من الآن . سوف يتساءلون كما نتساءل فى هذه الايام فيقولون ألم يعلن رجال الوزارة الشعبية يوم كانوا ظاهرين فى جانب الامة ان الدستور رجعى وانه من اعمال الاشقياء ؟

ألم يروا فى قانون التعويضات مال الامة مقذوفا به فى البحر ؟ ثم ماذا جرى بعد ان تخلوا عن صفوف الامة وتبوأوا مقاعد الوزارة ؟ اصبح الدستور الرجعى عصريا ، واصبح المال مبذولا ، كرما عميا وسخاء عظيما .

أيها السادة :

من ذا الذى تكون له ذرة من الاخلاص ثم يستطيع ان يقول ان المعارضة غير واجبة ؟ المعارضة التى تستمد وجودها وقوتها من العقيدة الوطنية الصحيحة وتستند فى عملها الى حسن النية ونبالة المقصد وهى فى ذاتها درع البلاد وسند يعتمد عليه اولئك الذين يقولون انهم ذاهبون ثالث مرة الى الانجليز ليظفروا منهم بالاتفاق الموعود .

الاتفاق الموعود

الاتفاق الموعود ايها السادة كلما ذكرته مثلت امامى خزانة عائلة همبير . وهى عائلة فرنسية ورثت خزانة خاوية ثم ادعت خطأ او قصدا ، هى ومن كان معها ،

ان الخزانة مملوءة ذهبا مقنطرا ، فاستحوذت بذلك على ثقة واسعة ، وكان بعض أرباب الحقوق فى هذه الخزانة استصدروا الأوامر بغلقها وختمها . وكان المقرضون والزبونيون يعلقون آمالهم الواسعة على تلك الخزانة وينتظرون فتحها وفض اختامها ليحصلوا على اموالهم مضاعفة بفوائدها وفوائد فوائدها . وبينما كان هؤلاء يسبحون فى احلامهم اللذيذة كان جماعة همبير يستزيدون الثقة لانفسهم على حساب الخزانة ، ثم يستغلون هذه الثقة اقتراضا للاموال وبذخا فى العيش ولم يزالوا على ذلك أمدا طويلا حتى اذا حان اليوم الموعود لفض الاختام والاغلاق عن تلك الخزانة التى عقدت بها الآمال ، وجدوها هواء ، ووجدوا ذهبها هباء ، ولم تسرح أبصارهم فيها فى غير أوراق بالية وأركان خالية وفراغ لايجلب يسرا ولا يدفع عسرا .

الاتفاق الموعود ، ايها السادة ، مثله عندى كمثل خزانة همبير ، لاتزال الآمال معلقة عليه حتى اذا جاءت ساعة فسترونه للبريطانيين مغنما ، وعليكم وعلى الامة خسرا ومغرما . وها نحن اليوم نسمع همسا فى الآذان من ان مندوبا ارسل خصيصا الى لندرة ، وان كتبا ورسائل تبودلت بين الوزارة المصرية الوفدية وصديقتها الوزارة الانكليزية الماكدونالدية . ونسمع ايضا انباء البشرى التى اعلن انها ستزف الى مجلس نوابنا متى حانت ليلة زفافها .

هكذا نسمع اليوم وغدا سنسمع انباء عن المفاوضات كتلك الانباء التى كان يسمعها الفرنسيون عن خزانة همبير . اما الذى يؤلمنا ويحزن نفوسنا فهو ان نرى عشاق المفاوضة ودعاة الركون الى الغاصب غير مقلعين عن خطر يبصرونه محققا ، ولا مرتدين الى السلامة المكفولة والخطة المعقولة . هذا هو الذى يؤلمنا ويحزن نفوسنا ، ولكن ما حيلتنا اذا كان سلطان الوهم لا يزال محتكما مستبدا ، واذا كان دعاة الاستسلام لا يزالون للمفاوضة عاشقين ، وبهوى المفاوضة مغرمين ، وبحبها متيمين .

البشائر المزفوفة

أيها السادة :

يزفون لكم البشرى ، او يعدونكم بانهم سيزفون لكم البشرى . فاجيبونا بما جربتم وما علمتم . اجيبونا بعقولكم وضمائركم . اجيبونا بما فيكم من رغبة فى الحياة وحرص على عزة العيش . اجيبونا بما كنتم تجيبوننا به من كراهة الذل وبغض الاستعباد . قولوا لنا ما هى تلك البشرى التى يحملونها الى مصر ونواحيها وشعبها من وراء البحار بعد أن أعلن المستر مكدونالد خطته مرتين واعلنت بريطانيا سياستها جهرة وبعد ان فتحت امامهم وامامكم خزانة القضية المصرية مرتين بمفتاح المفاوضة البائرة الجائرة فلم تقدم لكم الا سلاسل واغلالا . ولم تعرض عليكم الا وبالا ونكالا . افتريدون ان تنفذوا لها ارادتها فيكم وقد علمتم انها لا تريد الا ان تأخذ منكم صك العبودية ثم تقول اذهبوا ايها العبيد فقد سكنتم من أملاكى أرض مصر فانتم فيها عمال ضيعة ترقبكم عينى وتخضعكم اشارتى وتستوجبون تأديبى اذا نقضتم ما ابرمتم أو عصيتم ما رضيتم ...؟

ما هى تلك البشائر التى ننتظرها بعد ذلك وقد كانت بشرانا فى يدنا . كانت بشرانا الجديرة بنا وبكرامة موقفنا فى أول عهدنا النيابى الاخير ان تعدل خطبة العرش تعديلا تفرح به البلاد وتطرب له . ولكن الوزارة الوفدية التى ستحمل البشرى من لندرة الى مصر أبت ان يمس الخطبة اى تعديل او تفسير او ما يشبه التعديل او التفسير . أبت الوزارة الوفدية ان تنص نصا صريحا يحدد بالدقة المفاوض مطالبنا الثابتة المشروعة ويقيده بها ثم انترست بعبارة « الامانى القومية » ولجأت فى تبرير عملها الى وجوه شتى من المغالطة .

حقيقة الامانى القومية

أيها السادة :

قالوا الأمانى القومية . تحدثوا عن الأمانى القومية . اتخذوا الأمانى القومية

فى خطبة العرش عنوانا لما يطلبون ، إسما لما فيه يفاوضون . فانظروا أيها السادة ما هى الأمانى القومية حقـا . انظروا معنا لنرى هل الأمانى القومية بالمعنى الذى تعرفها به شعوب الارض جمعاء ممـا يحتمل الاخذ والرد ويجوز فيـه العرض والطلب ؟ الأمانى القوميـة فى الواقع كما يجب ان تكون للشعب هى مستجناة ضمائره ومكنونات سرائره . هى الآمال الفياضة بين جوانح الأمة . هى النعم السابغة لا مقطوعة ولا ممنوعة . هى المشتهيات المحبوبة اللانهائية . هى المحبوبات الروحية الرائعة المقدرة فى جلالها وعظمتها بمقـدار ما لنفس الامة من عظمة وجلال . هى المطامح المترامية فى سموها وبهائهـا الى اقصى ما تترامى اليه عزة نفس الأمة وأباؤها . تلك هى الأمانى القومية التى يقدرها كل شعب لنفسه ويعرفها فى ميوله وغرائزه . فهل يصح ان تكون هـذه الأمانى القومية — اذا كانوا يريدونها بهذا المعنى — موضعا للمناقشة والجـدل . وهل هى صالحة فى ذاتها ان تكون مثارا للبحث والمناظرة ، ومجالا للمشادة والمهاترة ، هذه هى الأمانى القومية . فاذا كانوا يريدونها حقيقة فليطمئنوا وليهدأوا بالا لأنها بين الجوانح لا تمتد اليها يد الغاصبين ولا تصل اليها قوة العالمين .

كلا أيها السادة . لا تصدقوا هذا السحر الذى يلقونه امامكم . ولا تركنوا الى تلك التعاويذ والرقى التى تنظرون وتسمعون . فـما من أمة هبط روحها المعنوى الى الحضيض الذى يجعل أمانيها القومية محدودة بنهاية مرسومة ببداية ويلقى اتكالها فى ادراك أمانيهـا على سواها فضلا عن غاصبها . ما من أمة هبط روحها المعنوى الى هذا الحضيض الا ذهبت ريحها وخاب نصيحها .

ان الشعب هو الذى يعمل ليبلغ أمانيه فيجب ان يحفظها بين اضلاعه ويصونها بين جوانحه وان يجد ويدأب لتحقيقها غير معتمد فى ذلك على سواه .

حقيقة القضية المصرية

أيها السادة :

خبرونى اية أمة او أى شعب مستقل وضع أمانيه موضع البحث السياسى

امام حكومة اخرى؟ ليست قضيتنا قضية آمال وأمانى . وانما قضيتنا ضد الانجليز قضية سياسية . قضية حقوق ثابتة . قضية مغصوب ضد غاصب دخل البلاد لا فاتحا ولا غازيا وأقام فى ارض الوطن لا منتدبا ولا موكلا او بقى على ضفاف النيل بغير رضانا فلم تفتر ألسنتنا عن الاحتجاج على بقائه . بل قضيتنا قضية حق طالما اعترف بها الغاصب المعتدى وطالما قال ان احتلاله مؤقت ووجوده استثنائى وأن موعد جلائه قريب .

قضيتنا أيها السادة قضية حقوق محدودة معينة . قضية تقوم على طلب الجلاء وتستند الى تجرد الغاصب عن كل صفة تجعل له مركزا ممتازا او حقوقا خاصة ، هذه هى قضيتنا كما هى فى الواقع وكما يجب أن تكون دائما وكما يجب ان نفهمها ونفهمها للناس جميعا ، واذا كان الاساس للقضية المصرية هو الحرص على اركانها من الحقوق الثابتة المشروعة فكيف يجوز لنا ان نخرج من دائرة هذه الحقوق لندخل دائرة الامانى فيصبح مثلنا مع الانجليز مثل الهند وارلندا ومثل كندا واستراليا .

غرضنا من تعديل خطبة العرش

لقد القينا منذ زمن قريب خطبة اثبتنا فيها ان لسياسة الاستعمار البريطانية مصلحة فى الابهام والغموض . فمصلحتنا نحن يجب ان تكون بعيدة عن كل غموض وابهام ما دمنا نطالب بحق ثابت يراه كل ذى عينين . وأبنا ايضا كيف ان السياسة الاستعمارية سلكت طريقا جديدا للتغرير بالامم التى اوقعها سوء الطالع فى مخالبها فجعلت تلوح لها بعبارة « الامانى القومية » كمرآة تنعكس فيها الصور الجميلة وهى لا تقصد بها غير الحكم الذاتى او ما هو ادنى منه . وقد سقنا من الادلة على ذلك مستندات رسمية من تقارير ملنر وكيرزون والمارشال اللنبي وغيرهم . ورجونا نوابنا وكل من يعالجون قضيتنا ان يذكروا الاستقلال صريحا بلفظه ومعناه . والجلاء علانية

بحروفه ومبناه . وان يحذروا كل اعتراف او شبه اعتراف بالمركز الممتاز او الحقوق الخاصة التى اخذت انكلترا تدعيها وتستدرجنا للاعتراف بهـا . بسطنا هذا الرجاء امام نوابنا وكل من يعالجون قضيتنا حتى لا يردوا باليـد اليسرى ما يأخذونه باليد اليمنى ، ولكن ماذا كان الجواب بعد هذا الرجاء ؟

أجابونا بلسان النحاة ومن كتب النحو لا بلسان الساسة ولا من كتب السياسة ... أجابونا ان الأمانى جمع أمنية وان الأمنية فى اللغة مايتمناه المرء وانه لا يشك أحد فيما يتمناه المصريون ..! بخ ! بخ ..!

لقد كان همنا من تعديل خطبة العرش النص على الاستقلال التام لمصر وسودانها فى المكان الذى ذكروا فيه مهمة المفاوضين . وعمل الوزارة ومطلبها . كان همنا من هذا التعديل منصرفا الى الدفاع عن حياة البلاد لا عن حياة لغة البلاد . فقد دافعنا عن لغتنا يوم كان غيرنا يحاربها ويطعنها فى كبدها . ولكن هل اغناهم شيئا التجاؤهم الى النحاة واللغويين ؟ وهل امنوا الا تخذلهم اللغة نفسها فيما طلبوه منها ؟ لقد جاءت الأمانى فى الذكر الحكيم بمعنى الاكاذيب : قال الله تعالى فى شيوخ احدى الامم الغابرة : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإنهم إلا يظنون » فالأمانى هنا هى الأكاذيب التى تلقوها عن رؤسائهم . وفى آية أخرى : «يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا» . وقال كعب بن زهير:

فلا يغرنك ما منت وما وعدت ... إن الأمانى والاحلام تضليل

أيها السادة :

هذا بحث لا طائل تحته بل هو سفسطة تدخل فى باب المجادلات البيزنطية . فما لنا وللبحث الضائع والسفسطة الباطلة . نحن فى موقف جد لاهزل . فى موقف يجب علينا فيه ان نعلم الحقيقة من مركز بلادنا لنستطيع ان نضع خططنا السياسية صحيحة تؤدينا الى السلامة ولا تعقبنا خزيا ولا ندامة .

بينا فى خطب سالفة نظرية المركز الممتاز والصوالح الخاصة التى تدعيها بريطانيا ، وبينا مواطن الخطر الداهم فيها ووضعنا خططنا على تجريد الغاصب عن

كل صفة تجعل له مركزا ممتازا او صوالح خاصة . فاسألوا غيرنا عن رأيهم فى هذه الصوالح وهذا المركز ستسمعون ما ألفتم أن تسمعوه من بريطانيا ، وستردد لكم عبارة الضمانات المعقولة والتوفيق بين صوالح بريطانيا وأمانى المصريين القومية ، وستفتح أمامكم أبواب التضليل على مصارعها ثم تخوضون غمار المناقشات الجدلية وتخرجون منها كما خرجتم من مناقشات مشروع ملنر متقاتلين متدابرين.

لقد سمعتم بعض ما كان منتظرا . قالوا أخيرا فى مجلس النواب أن غايتهم من المفاوضات تحقيق مبدأ الاستقلال لمصر والسودان ، ولم يتكلموا لا عن الجلاء ولا عن المصالح الخاصة التى تدعيها بريطانيا وهذا القول الذى أعلنوه أخيرا هو القول الذى أمتنعوا عن تعديل خطبة العرش به وهو الذى هددوا بالاستقالة اذا ادخله النواب فى صورة تعديل على خطبة العرش . ولكن لماذا نطقوا اليوم بما كرهوه أمس . أكان الحرص على الخطبة بفصها ونصها لان اللورد اللنبى كان قد أطلع عليها وعدلها كما أذاع الانجليز فى صحفهم بعد ذلك ؟ اننا لاندرى سر هذا التناقض الغريب فى هذا الزمن القريب .

ضلالة مخزية

أيها السادة :

أريد الآن أن احدثكم عن بعض ما أصاب الحزب الوطنى من المحن فى الفترة الحاضرة . واذا حدثتكم عن هذه المحن فلا أحدثكم عن شىء مما جعل به للناس أنفسهم أبطالا . وصار به أشباه الرجال رجالا . لا أحدثكم عن محن الحبس والنفى والامة قائمة وراء المحبوسين تطلب أطلاقهم والشعب صارخ خلف المنفيين يطلب اعادتهم . ولكننى أحدثكم عن محن أصابت الوطنية البريئة فى أعز شىء لديها وأدمت قلب الوطن بما أصابه من عقوق الطائشين . أحدثكم عن ذلك القطيع الابله الذى سار كمظاهرة تردد الهتاف بسقوط السودان . أحدثكم عن هذه الضلالة التى نعدها محنة وإن كانت الامة لم تفرط فى انكارها وتشديد النكير على من دبروها ، فلم تبق هيئة ولا صحيفة الا أعلنت سخطها عليها واحتقارها لها .

تعد هذه الضلالة محنة لان كل حركة لنا مبصرة وكل حسنة مسموعة وغاصبنا الساهر مرهف الآذان مشحوذ القلم واللسان . يفسر حركاتنا لمصلحته وينقل اعمالنا لفائدته .

قولوا لهؤلاء البلهاء ما ذنب السودان ؟! بل ما ذنب مصر التى تريدون أن تطيحوا رأسها من فوق كتفيها وتنزعوا قلبها من بين جنبيها .

قولوا لهم إن مصر بغير سودانها تصبح مصر بغير نيلها . ومصر بغير النيل صحراء جرداء . لا ينبت لها زرع ولا ينبع فيها ماء .

بل قولوا لهم من أنتم أيها العجزة حتى تستطيعوا أن تقطعوا ما أرادت الطبيعة أن يوصل ؟ ! وأن تفرقوا بين ما ربطت علاقة اللغة ووحدة العنصر ورابطة الدين أن يجمع .

قولوا لهم ان كنتم من بنى الانسان تعالوا الى الحزب الوطنى يعلمكم أناشيد الوطنية ويلقنكم تعاليمها عن أساتذتها ، أما ان كنتم من الشياطين والابالسة فلا شأن لنا بكم فقد حق عليكم أن تهتموا بما تشاءون بسقوط السودان وأن تطلبوا جفاف النيل حتى تصبح مصر تلك الجنة الغناء قاحلة لا تصلح سكنى لبنى البشر وانما تصبح مأوى للشياطين أمثالكم ومرتعا للابالسة إخوانكم .

لا يهزم المبدأ الصحيح

أيها السادة :

اقدمنا على الانتخاب بعد ان شرحنا آراءنا وابرأنا ذممنا وما كان يفرحنا نجاح ولا يروعنا فشل على اننا لا نفهم لماذا تكون الهزيمة فى الانتخابات لنا ! ؟ ولماذا تكون الهزيمة لمن آلوا على انفسهم أن يعملوا لاداء الواجب نحو وطنهم ؟ ولماذا لا تكون هذه الهزيمة لمن يفرطون فى حق الوطن فلا يسمعون نصحا ولا يهتدون سبيلا ؟ ان كانت هناك هزيمة فستكون لتلك النفوس التى قدت من الصخر فلم تعمرها المبادىء الوطنية القوية . ستكون الهزيمة لتلك القلوب الضعيفة

التى تفقه ما نقول وتجبن رياء عن العمل به . تلك القلوب التى حرمها الله نعمة الايمان الوطنى الصحيح . ستكون الهزيمة لاولئك الذين وضعوا خلف آذانهم مبادىء الحزب الوطنى ، مبادىء الحياة الشريفة ، مبادىء العزة والمجد ، مبادىء الحرية والجلاء ، وسيكون مثلنا معهم كالمهند المصقول فهو فى يد الشجاع آلة ظفر واداة نصر وقهر . فى يد الجبان عود مرضوض وغزل منقوض وان يضيرنا فى هذا شىء ، فسنكون وإياهم كما قال الشاعر :

تقلدتنى الليالى وهى مدبرة كأننى صارم فى كف منهزم

بريطانيا بين الاستعمار والروح العالمية

نشرت جريدة «الأهرام» في العدد الصادر بتاريخ ٩ من يناير سنة ١٩٤٧ ما يلي :

الموقف السياسي والموقف الوزاري

المقترحات البريطانية لا تبشر بأمل — تصريح لرئيس الحزب الوطني

تصريح رمضان باشا

كنا قد أشرنا أمس إلى مقابلة سعادة الأستاذ حافظ رمضان باشا ، رئيس الحزب الوطني ، لدولة رئيس الوزراء للتشاور في الموقف الحاضر ، وقد جرى لمندوب « الأهرام » حديث مع حافظ باشا عن رأيه في المسألة المصرية ومشكلة السودان وسياسة الانجليز اليوم . فأفضى سعادته بتصريح استهله بقوله :

مؤثرات السياسة البريطانية

يخيل إلى أن السياسة البريطانية في الوقت الحاضر تسير بين عاملين : فكرة الاستعمار القديمة ، وتطور العالم في وقتنا الحالي . ولهذا نراها تتردد بين هذين العاملين ، ويلوح لي أن تلك السياسة سترتكب أخطاء كثيرة ، وأنها تتردد بين العاملين المتقدم ذكرها ، فلم تستطع حتى اليوم أن تفض شيئا من مشكلاتها العديدة .

تدابير الانجليز مع مصر

أما فيما يتعلق بمصر فلا ريب عندى فى أنها أخطأت ، وأنها لا تزال ترتكب الأخطاء فوق الأخطاء ، فمن ذلك تعلم أن دولة رئيس الحكومة الحاضرة كان مؤيداً لمشروع صدقى — بيفن ، وهم الآن يقفون فى وجهه فى مسألة السودان ، ويرتكبون الأخطاء الناجمة عن فكرة الاستعمار البالية القديمة باتخاذ إجراءات لا تمت بأية صلة إلى القانون أو الشرع أو العدالة فى شىء .

ليسوا أوصياء ولا منتدبين

فمسألة السودان مثلا مسألة اعترف فيها ممثلو بريطانيا منذ عهد اللورد كرومر ثم فورست وكتشنر بأن السودان جزء من مصر لا يتجزأ ، واعترفت الوزارة البريطانية بذلك بل أعلنته فى حادث (فاشودة) المعروف .

وبالرغم من هذا كله فقد تغلبت الفكرة الاستعمارية تحت ستار واه لا قيمة له عند رجال السياسة ، وهو أنهم يريدون استقلال السودان .

وأول ما يتبادر إلى الذهن : من ذا الذى أعطاهم حق التكلم باسم السودان ؟ فليست لهم وصاية ولا انتداب على تلك البقعة من الأرض وكل سياستهم الماضية كانت تدور حول اعتبار السودان جزءاً من الأراضى المصرية ، حتى أن معاهدة ١٨٩٩ المشئومة والباطلة شرعاً ودولياً لم تتعرض إلا لادارة تلك البلاد ، وفسرها ممثلوها هذا التفسير ، وهم جميعاً يعتبرون السودان ومصر كلا لا يقبل التجزئة .

فليعلموا بطلان المعاهدتين

وهنا سأل المندوب حافظ باشا عما يشير به إذا أصر الانجليز على المضى فى خطتهم العملية لفصل السودان عن مصر والخطوات الايجابية التى يرى أن تتبعها الحكومة . فقال سعادته :

« لقد صرحت برأيي في ذلك أكثر من مرة ، على أني أريد هنا أن أعرض بالإيضاح لبعض نقط لم أشأ أن أتعرض لها قبل الآن ، ولكنني وقد أرى فشل تلك المفاوضات أوضح شيئاً من هذه المسائل الهامة .

فأولا : لا يصح لنا أن نطلب بطلان المعاهدة ، لأن هذا الطلب يقتضينا أن نتوجه إلى هيئة أو محكمة دولية لتقضي لنا بهذا البطلان ، وإنما يجب علينا من ناحيتنا بطلان معاهدتي ١٩٣٦ ، ١٨٩٩ .

وهذا جائز دوليا ، وإن لم يكن لنا من أسباب هذا الاعلان غير ما كررته بريطانيا نفسها ، ووافقها عليه مجلس الأمن في حادث إيران وروسيا ، وهو أن كل اتفاق يحـدث في ظل احتلال أجنبي يقع باطلا . . . أقول إذا لم يكن لدينا غير هذا السبب لحق لنا أن نعلن البطلان دون الرجوع إلى جهة ما لتقضي لنا بالبطلان .

ونعرض طلب الجلاء وحده

وثانياً : أن نعلن طلب الجلاء وحده على مجلس الأمن باعتبار أن بقاء الاحتلال البريطاني بغير رضائنا بعد إعلاننا بطلان المعاهدة لا يتفق وميثاق الامم المتحدة ، وأنت تعلم أن هذا الطلب يتكرر كل سنة عند الاقتضاء » .

واختتم رئيس الحزب الوطني كلامه بقوله : « ولا أخفي عليك أنه حينما يطلب إلى المساهمة في الدفاع عن هذه القضية إذا قضت الظروف بذلك ، وفي اعتقادي أنها ستقضي بذلك عاجلا أو آجلا ، فاني لن أتردد لحظة في ذلك . فهذه القضية قضية لو وكل أمر الدفاع فيها إلى أقل المدافعين كفاية وعلماً بها لقام بواجب هذا الدفاع خير قيام » .

حظ مصر من النجاح فى هيئة الامم المتحدة

أرسل سعادة الاستاذ محمد حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى الى جريدة « ليموند » بباريس ، بالمقال التالى ، وهذه ترجمته :

صح ما توقعه الحزب الوطنى فقد انتهت المفاوضات بين مصر وانجلترا الى مأزق بذلت الجهود طيلة اشهر للخروج منه ولكنها بذلت سدى فاضطرت مصر الى ان تسلك سبيلا آخر لتحقيق أمانيهـا القومية ، ويجب علينا التذرع بالصبر وصدق العزيمة اذا أردنا التغلب على خصمنا فى النضال الذى كتب علينا خوض غماره لأن هذا النضال سيكون طويل الأمد مريراً .

أدركت انجلترا أن لابد لهـا من العدول عن سياستها الاستعمارية التقليدية ، ولكنها مع ذلك تأبى الاذعان عن طواعية لمـا يقتضيه تطور الشعوب وتفرضه المبادىء التى ولدتها النهضة الفكرية عقب الحربين العالميتين ، فاذا دخلت مفاوضة سياسية كالمفاوضة فى المسألة المصرية ، أعوزتها تلك البراعة التى طالما مهدت لها سبل النجاح .

ومن الأمثلة على تعثر سياستها أنهـا جعلت السودان موضوع التقاضى بينها وبين مصر ، وقد ظنت انها تخدع العالم بادعائها الذود عن حق السودانيين فى الاستقلال ، كأن العالم يجهل انها لا تبغى من وراء ادعائها هذا إلا بسط سيادتها المطلقة على السودان .

غير أن حجة مصر فى هذه القضية حجة لا تنقض . فبأى حق تتكلم بريطانيا

* عدد الاهرام الصادر فى ٣ / ٢ / ١٩٤٧

عن السودان ، أى مؤتمر اوربى ، أى قرار من عصبة الامم أو من هيئة الامم المتحدة قد خولها هذا الحق ؟

وهل يكفيها أنها فرضت علينا اتفاق سنة ١٨٩٩ لتدعى بالحق فى أقصائنا عن السودان ، وكل ما يبيحه لها ذلك الاتفاق الاشتراك معنا فى ادارته ؟

من فضول القول الرجوع الى جميع المستندات والعهود والقرارات التى تقيم الدليل على شرعية المطالب المصرية بشأن السودان ، وحسبنا التسوية بالحجة التى تذرع بها لورد كتشنر إذ طالب القومندان مرشان بالجلاء عن « فاشودة » فقد قال ان هذه الارض مصرية وانه يخاطب القومندان مرشان باسم خديوى مصر ، اذن كانت فاشودة أرضا مصرية سنة ١٨٩٨ ، باعتراف لورد كتشنر ، وفاشودة واقعة فى قلب السودان ، فكيف لا تكون اليوم مصرية ما دامت مصر لم تنزل عن السودان فى أية معاهدة من المعاهدات ؟

وجاء بعده سياسى بريطانى لا يقل عنه شهرة ، هو لورد كرومر ، فلم يحجم فى جميع تقاريره التى رفعها الى وزارة الخارجية من سنة ١٩٠١ الى سنة ١٩٠٦ ، عن الاعتراف بأن وحدة وادى النيل باقية من المبادىء الأساسية لسياسة مصر . وقد عقب فى تقريره الاول على عقد اتفاق سنة ١٨٩٩ فقال : « لقد اتاحت هذه الوسيلة لمصر أن تؤمن الشطر الثانى من ارضها شر الامتيازات الاجنبية وعواقبها الوخيمة » . فأى اعتراف بتلك الوحدة اصرح عبارة من ذلك الاعتراف ؟

واعتزل لورد كرومر منصبه فى مصر فخلفه فيه سير الدون جوست ، ثم لورد كتشنر نفسه فلم يجرؤ واحد منهما على منازعة مصر هذا الحق ، وكان مثلهما أحرى بحفز الحاكم العام للسودان اليوم إلى أن يتوخى المزيد من التحفظ والاعتدال فبأى حق يوجه السياسة السودانية وجهة عدائية لمصر ، وهو يستمد سلطته من مرسوم اصدره ملك مصر ؟ أيستند الى هذا المرسوم فى شن حملته على مصر ؟ كان سلاتين باشا قد عين قبله حاكما لشطر من السودان بمرسوم اصدره الخديوى

و كان سلاتين باشا نمساويا . فماذا كانت انجلترا قد صنعت لو أنه غنم فرصة تعيينه في هذا المنصب فحاول ضم السودان الى النمسا ؟

علينا اذن ان نغتبط بأن انجلترا قد اختارت مسألة السودان وسيلة لاحباط المفاوضات .

ولكن المصريين يخطئون اذا ظنوا أنه يكفيهم لكسب قضيتهم أن تكون قضيتهم عادلة فليتذكروا أن خصمهم شديد المراس وانه الفارس المجلي في ميدان السياسة الدولية ...

ومن حسن طالعنا أن عدالة قضيتنا ليست بسلاحنا الوحيد ، فبلادنا ملتقى لثلاث قارات ، ومن ثم تتسم مسألتها بطابع دولي ظاهر للعيان ، وكان من اخطائنا أننا كثيرا ما أغفلناه في معالجة شئوننا الخارجية ، مع أن دولية مسألتنا مبعث قوة ، ولعلها أبرز عنصر من عناصر قوتنا اذا أحسنا الاستفادة منها . ولا مراءة أن انشاء هيئة الامم المتحدة وبعث المحكمة العليا في لاهاى قد يجعلان من هذا الطابع الدولي عاملا بعيد الأثر . فمن ألزم واجباتنا البحث جديا في وسائل استغلاله على أوسع مدى .

تدل الابحاث التى عمد اليها الثقات من أهل الفقه على أن الاحرى بمصر رفع قضيتها الى هيئة الامم المتحدة دون مجلس الامن . وهذه الهيئة تتألف من اثنتين وخمسين دولة ، والمأمول أن تناصرنا أمم كثيرة منها : فلامريكا الجنوبية عشرة أصوات اذا ضمت الى أصوات الأمم العربية ألفت معها مجموعة ذات شأن يذكر ، وهل تضن علينا ايران وتركيا بصوتيهما ؟ يقال ان السلطات المصرية قد أخطأت في سياستها حيال هاتين الدولتين الشرقيتين على ما بيننا وبينهما من أواصر الود والصداقة غير أن هذه الاخطاء سهلة الاصلاح ، فاذا بادرنا الى محو أثرها كفلنا تأييد إيران وتركيا لقضيتنا .

والشائع أن الأنجليز والروس يتفاوضون لحسم نزاعهم ، وتجنب ما يخشون من تصادم سياستهم في مداولات هيئة الامم المتحدة ، فاذا تم هذا الاتفاق فهل

يحفز الدول السلافية الى الاقتراع ضدنا ؟ ذلك احتمال من العسير تصوّر وقوعه ولكن يجب علينا السعي لدرئه بمفاتحة الدول السلافية منذ اليوم فى شأن قضيتنا وافهام الصقالبة أننا مع استمساكنا بمبادئنا الدينية ونظامنا الديمقراطى ، على استعداد للتعاون مع الاتحاد السوفيتى وبلدان أوربا الشرقية الملتفة حوله فيما بقى من ميادين العمل ولا سيما الميدان الاقتصادى .

والهند فى جانبنا ولكن علينا أن نكفل صوت الصين أو نكفل على الاقل امتناعها عن الادلاء بصوتها عند الاقتراع ، أما الولايات المتحدة ، ونفوذها فى هيئة الأمم المتحدة أظهر من أن يعرف ، فلا أظن من بذل الجهد فى غير طائل مناشدتها العون بالعدل والحرية ، وهيهات أن أهون من متانة الصلات القائمة بين انجلترا والولايات المتحدة الامريكية ، ولكنى مازلت أعتقد أن مندوبى الولايات المتحدة اعلم بقدر بلادهم فى أعين العالم طراً من أن يغضوا الطرف عن الصدمة الأدبية التى تقضى على آمال الملايين من البشر إذا أنحازت الولايات المتحدة الى جانب الاستعمار .

بقيت الكتلة الغربية الاوربية وعلى رأسها فرنسا . وفرنسا صديقة مصر من قديم الزمن وهى تمت إليها بأسباب لا تقوى على فصم عراها ، ولئن كانت الحوادث الأليمة التى وقعت فى دمشق قد كدرت صفاء ما بيننا من الود فى يوم من الأيام ، فسرعان ما صحا الجو بعد أن ظهر صدق فرنسا فى سلوكها اللاحق وبادرت بالوفاء التام بالعهد الذى قطعته من تلقاء نفسها للبنان وسوريا ، فلا يقلقنا اليوم من الشئون المتصلة لسياستها حيال الامم العربية إلا حالة أفريقيا الشمالية . وأملنا ، وقد تألفت الحكومة الفرنسية الجديدة ، أن توفق فرنسا الى حل يحسم أسباب الشكوى فى تلك الأقطار ويحقق لها ما تصبو اليه من العدل والحرية . ولا مرية أن السبيل الى هذا الحل ليس غلظة النقد أو لذعة السب ، فمن خطل الرأى أن نجبه السياسة الفرنسية بقوارص الكلم ، وما قوارص الكلم إلا مدعاة لتصلب السياسة الفرنسية وتنفير فرنسا من المصريين وسائر العرب .

والرأى أن المحادثات الودية والمساعى المتئدة هى الكفيلة بأن تظهر لفرنسا ما تغنمه من الاستجابة لرغائب إخواننا أبناء أفريقيا الشمالية ، وما نعلقه نحن من عظيم الشأن على اصلاح شئونهم وتأمين مصيرهم، فتستيقن فرنسا أن فض المشكلة الخاصة بأفريقيا الشمالية يزيل كل عقبة فى سبيل التعاون الصادق بينها وبين العرب قاطبة ، فينمو هذا التعاون ويتشعب فى جميع الاقطار العربية لانه يحقق مصالح حضارتنا المشتركة .

فبعد أن نأخذ للامر أهبته يمكننا الذهاب باطمئنان الى هيئة الامم المتحدة وبديهى أن نجاح قضيتنا رهن بالاستعداد للدفاع عنها !

من هم صنائع الانجليز فى مصر والسودان

حديث لحافظ رمضان باشا

حافظ رمضان باشا ، زعيم الحزب الوطنى ... هذا الحزب الذى ظل وحده ينادى بالجلاء ، فكانت الاحزاب كلها تتهمه بالخبال ... ثم ما لبثت أن رددت صيحته .

قلنا لحافظ باشا : إن الحوادث تدعوك إلى الكلام .

فقال : ولكن المرض يدعونى إلى الصمت ... وروى قصة ساقه المكسورة ، وكيف أنه ذهب إلى القرافة ليشاهد مقبرته ، فلما نزل إليها زلت قدمه واصيبت بكسر وتعفرت بالتراب ، فتلفت إلى التربى وقال : لقدجئت اليوم لأشاهد (التربة) فقط ، ولكن يظهر أنك فهمت خطأ أنى جئت لأدفن فيها !

واستطرد حافظ باشا فقال :

إن أهم ما ينبغى أن يفهمه المصريون بعد ما قرروا عرض قضيتهم دوليا أن كل دعوة إلى اليأس من نجاح هذه القضية هى دعوة انجليزية بحتة ، وعندى ما يحمل على الاعتقاد بأن ما قيل من أن هناك مساعى ووساطات لاستئناف المفاوضات بين مصر وبريطانيا كان بتحريض الساسة البريطانيين . ولست اقول ذلك استنتاجا ، ولكن أقوله عن علم ، وأظن أن رجالنا المسئولين يعلمون ذلك أيضا .

ولا يخالجنى الشك فى أن الحكومة الحالية لن تتأثر بهذه المساعى ، ولن تثنى

* عدد آخر ساعة رقم ٦٤٣ — ١٩ فبراير سنة ١٩٤٧

عن المضى فى طريقهـا الذى أعلنته ، فكانت بذلك أول حكومة مصرية وقفت فى وجه انجلترا بشجاعة وإيمان ، وقررت قطع المفاوضات وعرض قضية مصر على الدول .

وقد أدركت انجلترا ما سيكون لهذه الخطة السليمة من نجاح لقضيتنا فشنت حرب أعصاب على الحكومة التى قامت بهذا العمل وأسمتها حكومة أقلية .

قلنا : ولكننا سمعنا أنك تؤيد هذه التسمية .

فقال : ليس هذا صحيحا لأنى لست انجليزيا ... وأنى لأعجب كيف تدعى انجلترا هذه الدعوى والمعروف فى القوانين الدولية ان كل حكومة تعترف بها الدول الاخرى تصبح حكومة شرعية . ولا ريب فى أن حكومات النظام الحاضر قد اعترفت بها الدول كلها ... اعترفت بها عند ما أعلنت الحرب ، وعند ما اشتركت فى ميثاق سان فرنسيسكو ، وفى هيئة الأمم ، وفى محكمة العدل الدولية ، وفى مجلس الأمن ، واعترفت بها انجلترا عند ما فاوضتها ، ومن عجب الا يدرك الانجليز أن حكومتنا حكومة أقلية إلا عند ما قطعت المفاوضات ... فهل كانوا يصيحون هذه الصيحة لو أن الحكومة قبلت مقترحاتهم .

قلنا : ألا يمكن أن يرسلوا صيحتهم هذه الى مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة إذا ما تولت الحكومة الحاضرة القضية بنفسها .

فقال : انهم لن يستطيعوا ذلك لأن الحكومة معترف بها دوليا كما قلت لك ... ولو جاز ذلك — وهو غير جائز قطعا — فقد جاز لنا ان نطعن فى حكومة العمال بأنها حكومة أقلية ، وأنه لو جرت الآن انتخابات جديدة فى انجلترا لفقد العمال أغلبيتهم ... ولو أخذنا بهذه النظرية لما استطاعت حكومة فى أية بقعة من بقاع الأرض أن تمثل بلادها إلا على أثر انتخابات جديدة مباشرة وهذا مستحيل !

إن حقيقة الامر هى أن الحكومة البريطانية تدعى أن (السير) مصطفى النحاس باشا له الأغلبية فى مصر ، وأن (السير) عبد الرحمن المهدى باشا له الأغلبية فى

السودان ... وستظل الدعوى قائمة لأن مصلحتهم تقتضيها ، فاذا تحققت هذه المصلحة على يد (سير) آخر فى مصر أو (سير) آخر فى السودان فان الانجليز سيعدلون عن دعواهم ، أن مصطفى النحاس له الاغلبية فى مصر وأن المهدى باشا له الاغلبية فى السودان .

إن أبناء وادى النيل يطلبون التحرر من الاستعمار البريطانى ، وهم يرفضون التعاون مع الانجليز ويصرون على الالتجاء الى الهيئات الدولية ، والحكومة التى تحقق هذه المطالب هى حكومة البلد ، ولو لم يكن لها حزب على الاطلاق .

قلنا : هل نفهم من هذا أنكم ستشتركون فى الهيئة السياسية .

فقال : لقد قبلت الاشتراك فى هذه الهيئة لأن ذلك سيتيح لى المساهمة فى خدمة القضية المصرية .

وقلت للنقراشى باشا : انا معكم ما دام هذا هو غرض الهيئة أما اذا تطورت الى هيئة مفاوضات فانى لست معكم .

قلنا : ألا تخشى حين تعرض قضيتنا ان يطعن بعض المصريين فى تمثيلها لهم ، فيكون ذلك ضارا بالقضية ؟

قال : اذا حدث هذا فانه سيكون حجة على الانجليز ، سنقول للدول انظروا ما صنع الاستعمار بنا ... لقد جرد بعض رجالنا من الوطنية وذلك شر ما يوصم به المستعمرون .

إن واجبنا يقتضينا أن نساهم فى خدمة قضية البلد ، وأن نشد أزر الذين يتولون عرضها ، فان كانوا ضعافا قويناهم بالعمل معهم . وأنا مستعد لأن أؤيد كل مصرى يتولى الدفاع عن قضية مصر أمام الهيئات الدولية ، لأن هذا واجب ، وليس فى استطاعتى أن أتخلى عن الواجب .

حافظ رمضان باشا ينصح النحاس باشا

نشرت مجلة « آخر ساعة » فى عددها الأخير حديثا لسعادة الاستاذ حافظ رمضان باشا زعيم الحزب الوطنى رد فيه على دعوى الحكومة الانجليزية أن الحكومة المصرية حكومة أقلية . وقال : أن حقيقة الأمر أن الحكومة البريطانية تدعى أن « السير » مصطفى النحاس باشا له الأغلبية فى مصر . وأن « السير » عبدالرحمن المهدى باشا له الأغلبية فى السودان ... وستظل تلك الدعوى قائمة لأن مصلحة الانجليز تقتضيها ... الى آخر ما جاء فى حديثه :

وقد هاج هذا الحديث صحف الوفد ، فهاجمت حافظ رمضان باشا وقالت إنه عجوز يتصابى ! وأنه من صنائع الانجليز !!..

وقد رأى حافظ باشا لهذه المناسبة أن يزيد موقفه شرحا ، وأن يتوجه بنصيحة خالصة إلى النحاس باشا * فكتب الكلمة التالية « لأخبار اليوم » . قال حافظ باشا:

ليس من عادتى أن أتعرض لأى فرد كان ، زعيما أو غير زعيم ، ولا أن أجرح إحساسه فى دفاعى عن قضية مصر ، ولكن عند ما تتخذ السياسة البريطانية من أخطاء بعض مواطنينا أو بعض هيئاتنا تكأة لتنفيذ أغراضها الاستعمارية ، وإثارة الافتراءات الكاذبة بكل قوة ، ولا أبالى إن كان دفاعى يمس من قرب أو بعد أية هيئة أو أى فرد ، لأن الدفاع عن الوطن يجب ان يرتفع فوق كل اعتبار .

قد قررت الحكومة المصرية قطع المفاوضات والالتجاء الى الهيئات الدولية ، وكان هذا عملا وطنيا ، أشعر الحكومة الانجليزية بفشل سياستها الاستعمارية

---

* نشرت بأخبار اليوم بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٧

هذه المرة فى مصر ، فرأت أن تتخذ من سلوك بعضنا وسيلة للقول بأن هذا العمل الوطنى جاء من أقليـة فى البلاد لا يعبأ بها ... فكان واجبـا على أن أرد هذه الافتراءات لأنها فى الواقع موجهـة الى بلدى ، لا الى الحكومة الحاضرة ، ولا الى النظام الحاضر ، وكنت أعتقد أن من كانوا بأخطائهم وشهواتهم الشخصية سببا لفتح هذا الباب امام السياسة الاستعمارية تدخل منه لتظهر للعالم أن هذه السياسة المصرية صادرة من أقلية لا يعبأ بها ...

كنت أعتقد أن هؤلاء سيبادرون باغلاق هذا الباب فى وجه الاستعمار ، بأن يعلنوا أن ليس فى البلاد أغلبية ولا أقلية فى هذا الموقف ، وأن أبناء الوادى جميعا أحزابا وهيئات قد أخذوا بتلك السياسة التى تنطبق على مبادىء الحزب الوطنى ... كنت أعتقد ذلك ولكن حدث ما هو عكس ذلك ! فلم يكن يسوغ لى — وقد عملت فى السياسة المصرية قبـل أى سياسى من الأحياء — أن أقف صامتا ، ولا أدفع تلك الطعنات الموجهة الى بلادى ، فى هذه المرحلة الدقيقة من حياتها .

أما أن تطلق على كلاب الصيد من هنا وهناك بالاتهامات الباطلة والشتائم والافتراءات والسباب فان ذلك يجعلنى ان انثنى عن واجبى الوطنى فعلى الغاضبين أن يزدادوا غضبا ... وعلى كلاب الصيد أن تنطلق ما شاءت فانها لن تنال منى شيئا !

واذا كان « السير » مصطفى النحاس باشا يتقبل منى نصيحة خالصة من كل شائبة فهى أن يرد لقب « سير » الى الحكومة البريطانية فى الحال . وأن يعلن أنه لن يحمل هذا اللقب ما دام فى مصر عدو غاصب . وليس هذا بدعا ، وليس هذا كثيرا ، بل هو أقل درجات الوطنية الصحيحة ، و« للسير » مصطفى النحاس باشا فى ذلك أمثال عديدة منها أن سلاطين باشا — وكان حاكما من حكام السودان وليس زعيما لحزب أو رئيسا لهيئة — لما قامت الحرب بين بلاده وبين بريطانيا ، رد إلى الحكومة الانجليزية جميع أوسمتها ونياشينها وألقابها !

ومنها أن تاغور شاعر الهند ، ولم يكن زعيما لحزب ولا رئيسا لهيئة ، لما اشتدت الحالة بين بريطانيا وبين بلاده رد إلى الحكومة الانجليزية جميع ألقاب الشرف !

ومنها أن غاندى — قبل أن يتزعم الهند — رد الى بريطانيا لقب « سير » وهو نفس اللقب الذى لا يزال النحاس باشا يحمله الى اليوم !!..

هذا هو الذى يجب أن يكون، لا أن يقابل الحقائق الثابتة بالاتهامات الكاذبة !

واذا أخذ رفعة النحاس باشا بهذه النصيحة ، فانه يستطيع أن يسترد بعض ما فقده بتصرفاته التى لا أريد الآن أن أخوض فيها وكلهـا مسجلة ، ثابتة ، لا يمحوها شتم أو سباب . أو أذناب لاتحل غير الأوساخ ...

وليعلم الجميع ان حافظ رمضان لن يثنيه عن تأدية واجبه شىء وانه سيؤدى الواجب الوطنى مهما كان ، وفى مواجهة أى انسان كان !

حافظ رمضان باشا سيصبح مليونيراً !*

سألنا حافظ رمضان باشا عن رأيه فى الاتهامات التى وجهتها اليه صحف الوفد ، فقهقه طويلا وقال : لقد عرفت الطريق الى الثروة !

فسألناه عن هذا الطريق الجديد ، فأجاب : لقد زعمت هذه الصحف أنى وعدت بنصف مليون جنيه لأنى كشفت عن حقيقة ، كانت خافية على الكثيرين ولكنها مع ذلك حقيقة مادية لا سبيل إلى إنكارها . فلقب «سير» الذى طوقت به بريطانيا عنق « زعيم البلاد » كان فضيحة وطنية نجح النحاس باشا فى اخفائها والتستر عليها أعواما ، وكان يظن انها سقطت مع الزمن أو ذهبت مع الريح فلما كشفت عنها الغطاء ، وخرج الزعيم الوطنى ، رافعاً لواء بريطانيا ، جن جنونهم وطار صوابهم ، وأصبحوا كالطفل الهائج ، يحصب من ينصحه ويؤدبه ، ويعلمه الخلق الكريم ، بكل ما وصلت اليه يداه ...

فالوفديون ، يخيل إليهم ، فى الاحلام التى لا تبعثها الا الخيبة وسوء الحال ، أن وصف زعيمهم بما هو فيه ، عمل يستحق أن يؤجر عليه الانسان بنصف مليون جنيه ، فما أكبر قيمتهم فى نظر خيالاتهم !!

واذا كان الكشف عن لقب « سير » يساوى نصف مليون جنيه . فكم تدفع لى الحكومة اذا قلت لهـا أن مصطفى النحاس هو أول رئيس وزراء مصرى وقف تحت العلم البريطانى ، يستعرض جيوش الاحتلال فى ميدان الاسماعيلية بالقاهرة ، عاصمة بلاده ؟؟

وكم تدفع لى الحكومة اذا قلت لهـا أن مصطفى النحاس هو أول رئيس

---

* نشرت بأخبار اليوم بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٤٧

وزراء مصرى ، أستقبل سفير بريطانيا فى غداة اليوم الذى طوق فيه بجيوش بريطانيا قصر مليك البلاد ، ثم اقتحم عليه بابه وفرض عليه إرادة الغاصب .

استقبله لا بالازدراء والغضب ولا حتى بالجمود والبرود ، ولا بالتحفظ والالم المكبوت ، بل استقبله بالاذرع المفتوحة وعانقه عناق الاحباء ، وأوعز لقطيع من أنصاره أن يهتفوا بحياة اللورد كيلرن ويحاولوا حمله على الاعناق ثم ينقل نبأ ذلك الى محطة الاذاعة البريطانية فتذيع فى مساء هذا اليوم أن المصريين هتفوا بحياة انجلترا والسفير البريطانى بعد أن حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين !!

كم تدفع الحكومة ، بل كم يدفع الاحرار فى أى بلد من بلاد الله ثمنا لهذه الحقائق المرة التى لم تمح من ذاكرة الوطنيين فى كل زمان ...

إن هذه تساوى ملايين الملايين على حساب الوفديين . ومع ذلك فلست أنا الذى يتجر بآلام أمته ولا الذى يقبض ثمن الدموع المنهمرة على خدود أبناء وطنه ، فليبق المال للذين جمعوه وعددوه والذين انتقلوا بفضل الوطنية من الفقر المجمل بالصبر والقناعة ، الى الثراء المسمم بصداقة الاعداء ..

أما وقائع الاتهام المضحك الذى طلعت علينا به هذه الصحف فسره أنهم مازالوا يذكرون حديثى مع « آخر ساعة » عن زعيمهم ، وقد اعترفوا بهذا وذكروه .

أما تفاصيل الأمر ، فسأعرضها على النيابة التى أبلغها وكيلى حالما سمعت بما نشر فى الجرائد ، وقبل أن يجف مداد ما نشروه ، وحسبك أن تعلم أنى لم أشتر سهما واحداً من أسهم شركة الغاز ولم أطلب ذلك ، لا بثمنه الاسمى ولا بثمنه الفعلى ، ولا بثمن مؤجل أو معجل . فالقصة من نسج الخيال وموعدنا معهم أمام النيابة .

« اختلاف الأحزاب لا يخيفني »*

« حافظ رمضان »

إن مصر اليوم فى مفترق الطرق ... فقد أغلقت باب المفاوضات مع الانجليز ورفضت كل وساطة لاستئناف هذه المفاوضات ، وتقدمت بشكواها الى مجلس الأمن ... فما الذى يجب علينا عمله فى هذا الظرف الدقيق ؟

هذا هو السؤال الذى وجهناه الى حافظ رمضان باشا زعيم الحزب الوطنى . وقد أجاب سعادته بما يلى :

إن الجواب على هذا السؤال هو أن تتحد البلاد ، وعندى أن البلاد متحدة فعلا ، فان الخلاف لا يكون إلا فى وجهات النظر ، وما دامت وجهتنا واحدة فان تعدد الأحزاب لا يخيفنى !

وأحب أن يكون مفهوما أن الالتجاء الى مجلس الأمن يجب أن يكون مصحوبا بأعمال ايجابية نصحح بها أوضاعا خاطئة لا ينبغى أن نتركها بلا تصحيح.

مثلا : يجب أن نستغنى عن خدمات الانجليز — ولو كانوا فنيين — فى وظائف الحكومة المصرية . وهذا الاجراء إذا ما اتخذناه يعد ردا مهذبا على استغناء حاكم السودان العام عن وظائف المدنيين المصريين فى السودان وآخرها الوظيفة الروحية الدينية التى كان يشغلها قاضى القضاة !

ويجب أن نتيح لأبناء الجنوب تمثيل البلاد فى البرلمان المصرى وأنا على استعداد للتخلى عن مقعدى فى مجلس الشيوخ لتعيين احد اخواننا السودانيين فيه.

---

* أخبار اليوم عدد ١٩٤٧/٣/٨ .

وكم سرني أن البلاد تتجه من تلقاء نفسها إلى التحرر لا من الاستعمار البريطاني فحسب ، بل من العلاقات البريطانية نفسها .. وليس أدل على ذلك من هذه الحركة المباركة التي قامت لحل الاتحاد المصري الانجليزي . فما ينبغي مطلقا أن يظل هذا الاتحاد قائما ونحن في حرب مع الانجليز . ولسنا نحارب الانجليز بسبب نزاع على أسلاب أو مغانم ، ولكننا نحاربهم دفاعا عن حريتنا التي سلبوها وأرضنا التي اغتصبوها ، نحاربهم دفاعا عن كياننا ، فانه لا كيان لأمة يحتلها الغاصبون .

ويجب أولا وقبل كل شيء أن ننظم حركة عدم التعاون مع الانجليز ، فلا نمون سفنهم التي تمر بموانينا ، ولا نستقبلها ، ولا نتجر معهم . وأني أعلم ما قد يلحق بنا من ضيق نتيجة ابطلان المعاملة التجارية مع بريطانيا ، ولكني أعلم أيضا أن الجهاد يتطلب التضحية . واذكر على سبيل المثال انه عند ما تخلصت تركيا من التدخل الاجنبي في شؤونها عقب معاهدة لوزان قال اللورد كيرزون لبعض رجال كمال أتاتورك : لقد كسبتم المعركة في ميدان القتال وميدان السياسة ، ولكننا سنكسب المعركة آخر الامر في ميدان الاقتصاد !

فكان جواب كمال أتاتورك — وقد سمعته بأذني من فمه — إننا نحن الأتراك سنضيق الأحزمة على بطوننا اذا جعنا ... ولكننا لا نستسلم للانجليز ابدا فيما يريدونه منا !

وقد كانت نتيجة ذلك أن اضطرت انجلترا نفسها الى فتح ابواب التجارة بين البلدين ...

فاذا نحن لم نعامل الانجليز تجاريا ، ونحاربهم اقتصاديا فانهم سيدركون أننا جادون في جهادنا ، وسيضطرون الى طلب معاملتنا ، وأنا واثق من أن الاسواق الاوربية ستفتح امام قطننا ومنتجاتنا ، ولأفرض أن هذه الاسواق لن تفتح امامنا . فانه ليس كثيرا علينا أن نشد الأحزمة على بطوننا اذا جعنا ، ولن نجوع !

وأخيراً أذكرلك هذه الواقعة : فى عام ١٩٢٦ صعدت فى الجبل الابيض وهو أعلى جبال الألب ، والتقيت هناك بسياسى انجليزى كبير ، وجرى الحديث حول المتاعب التى يلقاها صاعد الجبل وتطرقنا من الكلام فى الرياضة الى الكلام فى السياسة والاستعمار فقال : إن بريطانيا تضع استقلال الشعوب التى تحتلها فوق جبل عال مثل هذا الجبل فمن أستطاع أن يتسلق الجبل استقل ، ومن لم يستطع فلينتظر تحت أسفل الجبل !

رئيس الحزب الوطني يطالب الاحزاب

بارسال برقيات الى مجلس الامن المطالبة بالجلاء *

سألنا حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطني عن رأيه في الموقف الحاضر، وما يجب علينا في كل حالة متوقعة بعد صدور قرار مجلس الأمن، فقال:

لم يمر على يوم دون أن أسأل هذا السؤال، سألنى إياه صحفيون، ووطنيون متلهفون، وآخرون ممن يتخذون القضايا الوطنية سبيلا الى اشباع الفضول، أو مجالا للحدس والتخمين، والتنبؤ.

ولم أضق ذرعا بهذه الاسئلة بل لم تغب عنى دلالاتها الباعثة للأمل، المحيية للرجاء. فلا ريب ان هـذا التلهف والتطلع، هو أقل ما ينتظر من أمة وضعت قضيتها في ميزان ما يسمى بالعدالة العالمية، وهو في الوقت نفسه آية من آيات الروح المعنوية الشاكية السلاح.

فلو كان المصريون، والسودانيون، يحسبون ان قضيتهم ستختم بهذا القرار الذي سيصدره مجلس الامن، ثم تطوى صحائفها، لانتظر أهل الوادي مصيرهم في استسلام، ولكنهم يعرفون أن استقلال الأمم أولا وآخرا، هو ما تنطوي عليه هي من استعداد للكفاح، فقد تفقد الأمة استقلالها مرة ومرة، فتستعيده وتخسره وتسترده، وهكذا دواليك.

على أن بعض الذين يستسلمون للقلق يريدون أن يعرفوا سلفا ماذا عسى أن يكون نصيب قضيتنا! وآخرون يريدون أن يضعوا أيديهم على مواطن الضعف

---

* أخبار اليوم عدد ١٩٤٧/٨/٢ .

فى الطريق الذى سلكناه ، أو فى الاسلوب الذى اخترناه . ولهؤلاء أقول أنه لم يبق على عرض القضية سوى يومين ، فلا معنى لهذه البحوث .

واست اجيب بهذا لأنى لا أجد ما أقوله فان الحزب الوطنى وحده هو الذى يستطيع أن يواجه مثل هذا السؤال ، وهو رافع الرأس ، مطلق اليد ، لا يجد ما يقيده ، فنحن الذين لم نفاوض فى الماضى ، ونحن الذين لم نفاوض فى الحاضر ، ونحن الذين نبهنا الى أن فى ميثاق هيئة الأمم المتحدة مزالق قد تؤدى أيضا الى المفاوضة ، ومع كل ذلك فالوقت يقتضينا جميعا أن نضرب مثلا فى الوطنية المجردة من كل المطامع .

ففى يوم ٥ أغسطس يجب أن يتلقى السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة برقيات من جميع الاحزاب السياسية والهيئات المشتغلة بقضية البلاد ، تؤيد مطالبنا التى انقطع من حولها كل جدال ، وأعنى بها الجلاء عن وادى النيل ووحدة هذا الوادى بلا قيد ولا شرط .

فكم يكون جميلا أن يظهر رأى الأمة فى صدد هذه المطالب موحدا وصريحا وقويا ، فى الساعة التى تعرض فيها قضيتنا .

إن هذه البرقيات لن تكلفنا جهدا ، لكن المعنى الذى تتضمنه أجل من أن يغيب على أحد من أهل وادى النيل فسيعلم العالم بأسره أن المساومات والمشاحنات والأحقاد والمطامع ، تذوب كلها عند صخرة الأمل الواحد الذى نتطلع إليه جميعا . وهو بشير لأصدقاء وادى النيل بأننا وقفنا صفا واحداً فى سبيل أهدافنا وهو نذير لأعدائنا بأنهم لن يجدوا بيننا ثغرة توصلهم الى أغراضهم الاستعمارية البغيضة .

* * *

هذا هو ما أجيب به اليوم ، أما جهادنا وماذا عسانا أن نفعل فى الغد ، فمتوقف على ما يسفر عنه الموقف فى مجلس الأمن .

برقية حافظ رمضان باشا الى سكرتير مجلس الامن

بتاريخ ٢ مارس سنة ١٩٤٦ وجهت باسم الحزب الوطنى المصرى الى الرئيس ترومان والى رؤساء الدول العظمى برقية أوضح فيها الخطر الكبير الذى يهدد السلام فى الشرق الاوسط إذا لم تنل المطالب المصرية العادلة حلا مرضيا .

وربما أن هذه المطالب معروضة فى الوقت الحاضر على مجلس الامن ولقد صممت مصر كلها على تحقيق الجلاء الكامل العاجل عن أراضيها التى يعتبر السودان جزءا منها لا يتجزأ .. فعلى مجلس الأمن أن يعالج المرة الأولى قضية تقوم على أساس واضح من العدالة والانصاف والحق الذى لا مرية فيه ، وأن الأمم العربية ـ شأنها فى ذلك شأن غيرها من الدول الصغيرة ـ لتنتظر قرار المجلس لتعرف إذا كانت هيئة الأمم المتحدة تعنى حقا باحترام روح ميثاقها .

ن الحزب الوطنى الذى حارب دائما فكرة المفاوضات المباشرة اعلن دائما بطلان معاهدتى ١٨٩٩ و ١٩٣٦ باعتبار أن هاتين المعاهدتين قد عقدتا تحت ضغط القوة العسكرية للدولة المحتلة ليعيد ويكرر معارضته لهاتين المعاهدتين اللتين كان دائما يعلن بطلانهما .

فاذا لم يعترف مجلس الأمن بحقوق مصر فان خيبة الأمل ستكون شديدة الوقع فى الشرق الاوسط بأسره مما قد يؤدى الى أوخم العواقب .

حافظ رمضان

رئيس الحزب الوطنى

بين ترومان وحافظ رمضان

نظراً لأهمية البرقية التى يشير اليها حافظ رمضان باشا رأينا أن تنشر نص برقيته المؤرخة فى ٢ مارس سنة ١٩٤٦ .

كلفتنى لجنة الحزب الوطنى الادارية المجتمعة اليوم أن أبلغ سعادتكم ما يأتى:

نظراً الى الحوادث المحزنة التى وقعت فى الايام الاخيرة بمصر ، ونظرا الى أن الشعب المصرى بأجمعه مصمم تصميما أكيدا على الحصول على جلاء الجنود البريطانية جلاء تاما عن جميع الاراضى المصرية فقد أصبح من العسير على بريطانيا أن تبقى جنودها برغم مصر فى أية بقعة من الاراضى المصرية والسودان . وأن كل حكومة مصرية لا يكون لها وجود اذا هى لم تجعل فى أساس سياستها محاربة الاحتلال البريطانى .

ويظهر من هذا أن مصلحة بريطانيا ومصلحة السلم فى العالم وضع حد لهذه الحالة التى يمكن ان تتطور الى اضطراب عام فى الشرق بأجمعه . ومصر التى بلغ عدد سكانها ٢٠ مليونا وأصبحت مواردها الحالية كافية لأن يكون لها على قناة السويس قوة دفاعية تبلغ عشرة أضعاف ما تريده بريطانيا — عازمة على بذل كل تضحية للحصول على استقلالها والاشتراك فى الدفاع عن السلم العالمى والمبادىء التى ترمى اليها جمعية الأمم المتحدة من حرية الشعوب واستقلالها . لهذا نناشدكم أن تعملوا لتلافى ما قد يحدث فى هذا العالم الذى لا يزال مضطربا بعد هذه الحرب من نتائج سيئة بسبب السياسة البريطانية المبنية على عدم تفهم الحقائق وضرورة مسايرتها .

رئيس الحزب الوطنى

حافظ رمضان

وبعد ستة ايام تلقى حافظ رمضان باشا الرد التالى :

حضرة صاحب السعادة حافظ رمضان باشا .

رئيس الحزب الوطنى بمصر .

سيدى . لقد ابلغنى وزير الخارجية بانه تلقى مع التقدير برقيتكم المؤرخة ٢ مارس سنة ١٩٤٦ التى وجهتموها الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية .

وان الحجج التى ضمنتموها رسالتكم قد كانت محل عناية الرئيس الذى أحالها لموظفى القسم المختص بهذه الشؤون .

المخلص

ب . تاك . وزير أمريكا المفوض فى مصر

٨ مارس سنة ١٩٤٦

من شباب الحزب الوطنى

وأرسل الاستاذ فتحى رضوان ، رئيس اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى ، البرقية الآتية إلى مجلس الأمن :

منذ نصف قرن أعلن الحزب الوطنى المصرى مبدأين فى السياسة الدولية :

أولهما : أن كل مفاوضة أو اتفاق فى ظل الاحتلال الأجنبى يكونان باطلين ، وأن المعاهدات الثنائية الخاصة بالقضايا الدولية ستهدد الأمن العالمى لأنها تكسب بعض الدول حقوقا ومصالح على حساب الآخر . ولذلك رفض الحزب المفاوضة مع الانجليز وكره أن تحل قضية مصر معهم بمعزل عن العالم .

وقد أصبح هذان المبدآن جزءا من إيمان الانسانية السياسى . ومن ثم فان قضية جلاء الانجليز عن مصر والسودان هو تطبيق صريح . كما قال رئيس الحزب فى برقيته الاخيرة لمبادىء الأمم المتحدة المستخلصة من أهوال التجارب والحروب . ومعاهدة سنة ١٩٣٦ ليست سوى عدوان بريطانيا على مصر قد اتخذت صورة وثيقة اذ لم يكن هناك من يقبل التوقيع عليها لولا الاحتلال البريطانى .

إن سياسة الانجليز فى عهد الاحتلال أعلنها اللورد جرانفل بقوله أن الوزير المصرى الذى يرفض أمر بريطانيا سيستقيل أو يقال . وسياستها بعد المعاهدة جرت على التدخل المستمر فى شؤون المصريين الخاصة . والمعاهدة التى هى وصلة بين العهدين لا يمكن أن تساوى شيئا فى حساب العدل والقانون .

أما وحدة وادى النيل فليس أبلغ فى الدلالة على انطباقها على الحق وما تقضى به الطبيعة من أن السودانيين قد قاوموا بالسلاح انسحاب القوات المصرية من السودان فى سنة ١٩٢٤ بأمر الانجليز . واستشهدوا فى سبيل استبقاء مواطنيهم المصريين معهم . وسيستأنف المصريون والسودانيون كفاحهم من أجل استقلالهم ووحدتهم لو صدمهم مجلس الأمن بقرار لا يتوقعونه .

---

* منشور بعدد جريدة الاهرام الصادر بتاريخ الاربعاء ٦ أغسطس سنة ١٩٤٧ .

عبد الكريم

عبد الكريم !

رددنا الاسم وكأن كل منا قد مسه سلك يفيض كهرباء ، فانتفضنا له انتفاضة قوية تداعت معها في لحظة ذكريات ربع قرن ، إمتزجت فيها فرحة الانتصارات الباهرة بآلام الهزائم التي قد بلغت في شرفها حداً ارتفع بها إلى مرتبة الظفر العظيم .

فعبد الكريم عنوان على هـذا الكفاح المرير ، الذي كان العرب والشرق كله يتابع جولاته مأخوذاً بهذه الحيوية التي كشفت عن نفسها في معارك ظن الاسبان أول الأمر أنها جذوات متضائلة تحت رماد السنين ، وأنها لا تلبث أن تنطفيء بحفنة من تراب أو قطرة من ماء ، فاذا بها تتوهج وتشتعل ، ثم إذا بهـا تضيء وتشرق ويرى الناس على ضوئها الباهر تاريخ العرب تندفع اليه تيارات من شبابه .

ثم أشفق العرب ، وأنصار الحرية ، حينما رأوا حرية مراكش ، وقد أحدق بها الفرنسيون مع الاسبان ، ثم تابعوا حرية مراكش وهى تتلقى الطعنات من هنا وهناك ، ودمها يسيل ، وهى تحتمل الألم ، وتستمد منه عونا على تحقيق الأمل فلما استسلمت آخر الأمر اختلط دمها بدموع الأحرار .

هذه الذكريات تدافعت فى رؤوسنا وتراكضت ، حتى إذا اجتمعنا بزعيمى شباب المغرب : الطريس ، وعلال ، نظر كل منا إلى صاحبه ، وكأنه يريد ان يقول شيئا ، ولكن يعود فيحبسه ، وبعد لحظات حدث كل منا صاحبه ، وكأنه يحدث نفسه : كم يكون جميلا ورائعاً أن تقول القاهرة لعبد الكريم وهو

* الاهرام عدد ٢ يونيه سنة ١٩٤٧

فى طريقه إلى منفاه الجديد : « إنى أفتح ذراعى لأستقبالك إن شئت » . وقبل أن أدير الفكرة فى رأسى كان صديقى « أبا الحسن » يستحثنى ويدفعنى لأطرق باب الفاروق ، وأرفع إلى سدته رجاء العرب والعربية .

ولقد خرجت مترددا ، فالفكرة جميلة كالحلم ، لكن ماكدت أنقل هذه الأمنية الى بعض الجهات الرسمية حتى عاد الى الجواب كرجع الصدى ، فما ظنناه حلما كان عند الفاروق عزما ، وما فكرنا فيه على استحياء كان عند عاهل العرب الشاب « ملك وادى النيل » حقيقة .

فأدركنا من جديد ان الفاروق هو حامى حمى هذه الحركة الفتية فى جميع البلاد العربية ، أو أن الاحرار سيجتمعون قاطبة فى ظله المديد .

عبد الكريم ضيف الفاروق بعد المنفى .. ! إذن فحرية المشرق وحرية المغرب يتعانقان ، وطرف الكفاح العربى يلتقيان ، فاذا لم يكن هذا بشير الحرية الكاملة فبأى شىء آخر يمكن أن يستبشر المجاهدون ؟

فتحى رضوان

المحامى

ملخص محاضرة الاستاذ فتحى رضوان ، رئيس اللجنة العليا للحزب

فى ١١ يوليه سنة ١٩٤٧

ذكرى ضرب الاسطول البريطانى

لمدينة الاسكندرية فى سنة ١٨٨٢*

« إن ضرب مدينة الاسكندرية هو فظاعة دولية وعمل يجمع بين الخسة والقسوة والاجرام . »

(السير ولفر دولاوسن)

عضو مجلس العموم البريطانى فى ١٢ يوليه ١٨٨٢

« يقتصر عمل الأميرال سيمور ، قائد الأسطول البريطانى الراسى فى ميناء الاسكندرية فى المستقبل إزاء مصر ، على دفاع الأسطول الشرعى دون أن يكون ثمة غرض خفى للحكومة البريطانية . »

(وزير خارجية بريطانيا فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢)

مقدمات يسيرة

منذ فكر نابليون بونابرت فى الاستيلاء على مصر ، والاستعمار البريطانى يعانى قلقا واضطرابا أشبه ما يكون بالحمى . فقد أحس البريطانيون خطر قيام دولة قوية فى مصر على أمبراطوريتهم الشاسعة فى الشرق الأقصى عموما ، وفى الهند على وجه أخص .

---

* منبر الشرق — عدد ١١ يوليه سنة ١٩٤٨

وما توجسوا منه خوفا واشفاقا قبل وقوعه ، ادركوا حقيقة نتائجه ، حينما قامت بالفعل دولة محمد على القوية المنيعة ذات الجيش والاساطيل ، وذات المصانع والمدارس ، فأقسموا أمام شياطينهم الا أن يقوضوا هــذا المجد الشامخ ، وان ينقضوا بناءه حجرا حجرا .

ولم تكن دولة محمد على أمرا طارئا حتى يسهل إزالتها من الوجود ، وانما كانت نتيجة طبيعية لوحدة وادى النيل التى لا يمكن الا ان تظهر اذا تيسر نشوء دولة قوية فى مصر او فى السودان . ولم يكن الشرق العربى فى يوم من الايام سوى وحدة أخرى اقل تماسكا من وحدة وادى النيل ، ولكنها فى الجملة لا تقل قوة واتساقا من وحدة الولايات الالمانية التى ضمتها دولة الرايخ فى عهد بسمارك ومن بعده ، أو وحدة الولايات السويسرية ، أو وحدة الولايات المتحدة الامريكية . فالدولة المصرية التى نشأت فى عهد محمد على لم تكن الا النسخة الجديدة من كتاب الدولة المصرية الذى عرفه التاريخ فى عهد الدول الطولونية والايوبية والاخشيدية والفاطمية ، بل قبل ذلك بثلاثة آلاف من القرون أيام تحتمس ورمسيس ، حينما اندمجت مصر والنوبة وسورية وفلسطين والعراق الى جبال طوروس فى الشمال ومعها طرابلس فى الشرق فى دولة واحدة .

لقد انتاب الساسة البريطانيون الهلع ، حينما أصبح البحر الاحمر ، فى عهد محمد على الكبير بحيرة مصرية ، وحينما أصبح شرق البحر الابيض مجالا حيويا للاسطول المصرى يروح فيه ويغدو ، تخفق بنوده ، وترفرف فوق مئات وألوف من القطع القوية ألويته ، ولقد أنطقهم الخوف بما لا يحبون أن يجهروا به ، فقالوا إن بريطانيا لا تستطيع أن تغمض عينها على دولتين إسلاميتين كبيرتين فى شرق البحر الأبيض المتوسط — أى تركيا ومصر — فعرف من لم يعرف أن التعصب الدينى الأعمى لا يفرخ إلا فى الغرب .

ثم جاءت قناة السويس ، فربطت الشرق والغرب ، فارتفعت حمى الطمع عند

بريطانيا درجات ، وقد كانت هذه القناة كابوسا مزعجا يتراءى لبريطانيا فى أحلامها بين الحين والحين ، فتنتفض من النوم ، وجبين سياستها ينفصد عرقا .

فلما اضطربت ميزانية مصر فى عهد الخديو اسماعيل ، برز من فم (جون بول) ناباه ، إذ أحس أن الساعة قد دنت لالتهام الفريسة . وتسلق الاستعمار البريطانى فعلا على أكتاف المرابين اليهود ، إلى نافذة الاقتصاد المصرى القومى ، ووثبوا منها إلى الاستقلال المصرى كما يسطو اللصوص فى الليل البهيم ، وأجهزوا على الفريسة فى المدة ما بين ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ و١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

مقدمات قريبة

على أنه إذا كان القلق قد انتاب الاستعمار البريطانى منذ قيام الدولة المصرية ، وازدهارها واتساع رقعتها ، ومنعتها العسكرية ، فان هذا القلق تضاعف حينما رأى أن جراثيم الضعف قد دبت إلى جسم هذه الدولة ، بسياسة التبذير والاسراف ، التى سار عليها الخديو إسماعيل ، فتوغل النفوذ الأجنبى حتى أصبح على الحكومة المصرية رقيبان ، أحدهما انجليزى والثانى فرنسى . وكان الاستعمار خليقا بان يجد فى هذا الفساد ، وفى امتداد نفوذ الاجانب فى مصر عزاء وسلوى — الى حين — عن الامل المرتقب وهو وضع اليد على وادى النيل وامتلاكه ، والتصرف فيه .

ولكن بريطانيا رأت خطرا يهدد مطامعها فى الصميم ، رأت الشعب المصرى يخلق ، رأته ينفض عن نفسه أثقال الدولة القوية ، ليعلن عن وجوده ، فيسمع صوته ، وتحس إرادته .

ففى أواخر عهد إسماعيل وجدت الصحافة القوية التى تنقد الحاكمين ، وتهزأ بسقطاتهم ، ولا تحفل بجاههم . فاديب اسحاق صاحب جريدتى « التجارة » و « مصر » عبر فى مقالاته النارية عن كل ما كان مكتوما فى قلب الشعب . والسيد جمال الدين الأفغانى بذر بذورا جديدة للثورة الفكرية التى لا تزال إلى الآن فى طريقها نحو النضوج والاكتمال والتأصل .

أراد الاستعمار أن يعالج هذه الروح الجديدة فى مهدها ، فلما اتجه الخديو اسماعيل إلى الاستعانة بالشعب ليواجه ضغط الاجانب عليه ، قرر الاستعمار أن يقصم ظهر هذا المولود الجديد قبل أن يملأ عينيه من نور الحياة .

بدأ الخديو اسماعيل فاصدر ديكريتو ٢ اغسطس سنة ١٨٧٩ الذى أنشأ مجلس الوزراء ، وترك للوزراء أن يحكموا ، وأن يتحملوا تبعات أعمالهم ، ثم كلف شريف باشا فوضع دستوراً لا يقل عن دستور أية دولة حديثة أخرى فى كفالته لحقوق الشعب .

ثم عبرت هذه الحركة الدستورية الجديدة عن نفسها حينما اعتدى العساكر والضباط المصريون فى فبراير سنة ١٨٧٩ على نوبار رئيس الوزراء وعلى الانجليزى ريفرز وزير المالية المصرية ، فلم يكن مناص من عزل الخديو اسماعيل ، فعزل ، ولم يكن عزله للاسف انتصاراً للروح القومية وللروح الدستورية ، فان الشعب لم تكن له يد فى إقصائه عن مسند الخديوية ، وإنما كانت بريطانيا وفرنسا هما اللتان تآمرتا عليه ، لا رغبة فى إنهاء حكم الفرد فى مصر ، ولا تحريراً للفلاح والطبقة الفقيرة من سيادة الباشوات ، بل كان خوفا من اتحاد الخديو اسماعيل مع الشعب ، وانشاء جبهة مقاومة منهما للنفوذ الأجنبي .

ولما ولى الخديو توفيق الأريكة المصرية فى ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ ، وكان شابا فى الثامنة والعشرين ، وكانت له صلات بالسيد جمال الدين الافغانى ، ظن دعاة الحرية المصرية أن مابدأه إسماعيل فى أخريات أيام حكمه سيستمر ويتصل فى عهد توفيق ، لا سيما أنه أبقى شريف باشا فى رئاسة الوزارة ، وكان شريف باشا زعيم الحركة الدستورية المصرية ... وقد تأكد هذا الأمل حينما كتب الخديو توفيق إلى شريف باشا يقول : « ولعلمى أن الحكومة الخديوية يجب أن تكون شورية وأن يكون نظارها مسئولين ، فانى اتخذت هذه القاعدة للحكومة مسلكا لا أتحول عنه ، فعلينا تأييد شورى النواب وتوسيع قوانينها . »

ولكن هذا الأمل كان سرابا . فالخديوى توفيق لم يلبث حتى تنكر لحركة

الحرية والدستور في مصر بفضل دسائس القنصل الانجليزي ادوار مالت وكثرة تدخله في الشؤون المصرية البحتة ، وكثرة نصائحه ، وكانت كلها تفيض بالروح الرجعية وبالكره للمصريين ولحركتهم الدستورية .

وقد توالت ضربات توفيق الرجعية ، ففي ٢٦ أغسطس سنة ١٨٧٩ نفي السيد جمال الدين الأفغاني . وفي ٣ سبتمبر سنة ١٨٧٩ اسندت الوزارة إلى رياض باشا زعيم الرجعيين ، وصديق الأجانب ، وخادم الاحتلال بعد ذلك . وفي ٤ سبتمبر ١٨٧٩ أعيدت المراقبة الأجنبية الثنائية بعد إلغائها .

وقد بدأ عثمان رفقي باشا وزير الحربية في وزارة رياض باشا في التآمر ضد زعماء الشعب من العسكريين ، فكان ذلك بداية الثورة المصرية التي تزعمها أحمد عرابي باشا .

ولكن هذه الخطوات الرجعية الصريحة ، كانت مصحوبة في الوقت نفسه بخطوات أقوى منها وأجرأ ، هي خطوات الحرية المصرية والحركة الدستورية الشعبية .

ففي نوفمبر سنة ١٨٧٩ بعد أن توالت ضربات رياض باشا للصحافة المصرية ، أحس زعماء المصريين بان حريتهم ستختنق ، اضطروا إلى الفرار بها إلى عالم الخفاء ، فاصدروا بيانا غير ممهور بامضاء حملوا فيه على أخطاء الحكومة ومصادرتها للحريات حملة شعواء أفقدت الحكومة صوابها ، فبثت أرصادها بحثا عن هؤلاء الذين يصوبون إليها سهام النقد محتمين بالسرية التي لا تقناولهم فيها أيدي البائسين . ويعتبر هذا المنشور أول عمل للحزب الوطني المصري .

واتخذت حركة المقاومة للرجعيـة وحكم الفرد والخضوع للاجنبي سبيل الجهر والمصارحة على لسان زعماء البلاد العسكريين ، وعلى رأسم أحمد عرابي باشا الذي طلب عزل عثمان رفقي وزير الدفاع ، فبهت رياض باشا إذ لم يكن عرابي سوى « فلاح » واعتبر هـــذا الطلب تحديا وتمردا ، وقرر اعتقـال الزعماء العسكريين ، عرابي وزميليه عبد العال حلمي ، قائد آلاى طرة ، وعلى فهمى ،

قائد الحرس ، وفعلا أودعا سجن وزارة الحربية بقصر النيل ، لولا أن خرج الجنود من ثكناتهم بعابدين و بطرة ، ثم ذهبوا بقيادة البكباشي محمد عبيد إلى زعماء الجيش ، وفكوا أسرهم مما أذهل رياض ، وأوقع توفيق فى حيرة ، إضطره في آخر الأمر أن يذعن لكلمة الشعب ، وأن يعزل رفقى ، وان يكل وزارة الدفاع إلى صديق من أصدقاء الثورة هو محمود سامى البارودى .

وما زالت الأمور تتدرج في إعلان كلمة الشعب المصرى حتى كان إعلان الدستور فى ٩ فبراير سنة ١٨٨٢ ـ وقد انعقد مجلس النواب الأول ـ فى وسط افراح شعبية .

لقد كان إعلان الدستور بمثابة الثقاب الذى أشعل مخزن البارود ، فان الحكومتين الانجليزية والفرنسية أرسلتا مذكرة فى ٨ من يناير بمناسبة عقد مجلس النواب الذى وضع فيما بعد الدستور إلى الخديو توفيق وإلى شريف باشا رئيس الوزارة تخطرانه بهذه المناسبة أن تثبيت عرشه ما يشغل بال الحكومتين .

ولقد أردفوا ذلك بمذكرة منهم فى ٢٦ يناير سنة ١٨٨٢ ينكرون فيها على مجلس النواب المصرى تفكيره فى تضمين الدستور حق النواب فى تقرير الميزانية .

وانتهى الأمر بالانجليز والفرنسيين إلى إرسال مذكرة إلى الخديو فى ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ بعد أن انتهت دورة مجلس النواب فى آخر مارس من نفس السنة ، يطلبان فيها إبعاد عرابى باشا من مصر واستقالة وزارة البارودى .

ولم يكن قد وقع من الحوادث الدولية ما يبرر هذا التدخل . ولكن الدولتين الاستعماريتين إنتهزتا فرصة خلاف نشب بين الخديو ووزارة البارودى باشا بصدد حكم صادر من المحكمة العسكرية على بعض الضباط ووجهتا هذه المذكرة مدعيتين أن سلطة الخديو بدأت تتزعزع . وقد انتهى هذا التدخل المعيب إلى تخاذل الخديو وانصياعه لمشورة الانجليز ، فأحرج مركز الوزارة وألجأ البارودى إلى الاستقالة ثم شغرت الوزارة ، فبقيت مقاعدها خالية من ٢٦ مايو حتى ١٣ يونيه فقد اعتذر عن تأليفها شريف باشا كما اعتذر آخرون .

ولولا أن الانجليز دبروا فى يوم ١١ يونيه حدثا افتعلوه وأشرفوا على

إخراجه ، لما فكر توفيق مطلقا فى إسناد الوزارة إلى أحد مكتفيا بادارته هو للبلاد ، إستئشارا بالسلطان ، ولكن هذه المذبحة التى وقعت فى ١١ يونيه بمدينة الاسكندرية هى التى ألزمته بان يسند الوزارة إلى اسماعيل راغب باشا فى يونيه .

أما تفصيل أمر المذبحة فهين جدا إذ أنها لا تعدو أن تكون شجارا قد وقع بين حمار مصرى يدعى السيد عجان وبين أحد رعايا بريطانيا من المالطيين ثبت فيما بعد انه شقيق خادم قنصل انجلترا ، وقد وقع اعتداء المالطى على المصرى بلا استفزاز ، بل كان إعتداء وحشيا إذ أنه أنكر على صاحب الحمار حقه، فرفض أن يعطيه أجره ، ثم طالبه به ، فرد عليه بسكين اخترقت صدره . وكان الأجانب قبل الحادث قد تجمعوا برئاسة قناصلهم وتسلحوا بسلاح وزع عليهم من الاسطولين الفرنسى والبريطانى اللذين وفدت قطعهما على الميناء إبتداء من يوم ١٩ مايو حتى بلغ عدد القطع الانجليزية ٧ قطع كبيرة .

وقد كان اعتداء المالطى على الحمار ، إشارة البدء ، إذ خرج الأجانب من كل صوب ، يقتلون فى المصريين ، ويذبحونهم ، والمصريون لا يملكون رداً على هذا العدوان الصارخ سوى ما وصل إلى أيديهم من قطع خشبية وسكاكين . وقد بلغ عدد ضحايا هذا الحادث من ٤٥ إلى ٥٠ قتيلا كان نحو الثلث فيه من الأجانب، وثلثاه من المصريين . وقد اعتبرت بريطانيا ذلك دليلا على اختلال الأمن وعلى تفشى التعصب الدينى بين المصريين، ولكن فريسينيه رئيس وزراء فرنسا قد انصف الحقيقة حين أعلن فى مجلس الشيوخ الفرنسى فى يوم ١٢ يونيه سنة ١٨٨٢ ما نصه :

« إن الأسلحة وزعت على المالطيين بالاسكندرية قبل الحادثة ببضعة أيام ، وأنه لباطل أن يقال أن سبب هذه المذابح هو التعصب الدينى فى مصر . ».

١١ يوليه

سارت السياسة البريطانية نحو ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ بقلب قد تحجر وامتلأ وحشية وتصميما على ارتكاب الجريمة الكبرى ، جريمة البطش بالاستقلال المصرى ووأد أمة فتية كانت قد بدأت فى تعمير الجانب الشرقى من البحر الابيض

وتعليمه وإقامة نظام تحالف تقريبا بينها وبين ولاياته. وقدأحسنت هذه السياسة اختيار الأسلوب ، فقد وضعت الخطوات التالية الواحدة إثر الأخرى :

أولا — استغلال تورط مصر في الديون بانشاء المراقبة الثنائية التي اتاحت لها رسميا التدخل في شؤون مصر وانتهت باسناد وزارة المالية الى أحد موظفيها .

ثانيا — محاولة التخلص من هذه المراقبة الثنائية للانفراد بالسلطة في مصر.

ثالثا — إشاعة الفتنة بين الخديو توفيق واحمد عرابى باشا ، باحتضان توفيق حينا ، وممالأة عرابى حينا ، حتى إذا استتب الأمر لزعامة عرابى ، اعتبرت هي هذه الزعامة تحديا لسلطة الخديو وقررت من تلقاء نفسها حماية الخديو وتثبيت عرشه ، وإعادة سلطانه اليها ، على الرغم من أنه لم يطلب منها صراحة ولا ضمنا قبل يوم ١١ يوليه شيئا من هذا .

رابعا — لما تدخل القنصلان الانجليزى والفرنسى في شؤون مصر وطلبا إقالة وزارة البارودى ، وأقيلت الوزارة فعلا ورأت بريطانيا أن هذا لايكفى للوصول الى غرضها قررت الانفراد بالعمل وأعلن هذا اللورد جرنفيل ، وزير خارجية بريطانيا ، لمسيو فريسينيه رئيس وزراء فرنسا .

خامسا — لبت بريطانيا دعوة فرنسا الى المؤتمر الذى عقد ابتداء من ٢٣ يونيه ١٨٨٢ في الاستانة لمناقشة المسألة المصرية ، ووافقت على القرار الذى صدر منه في ٢٥ يونيه قاضيا بأنها لن تسعى في الحصول على امتياز خاص لرعاياها في مصر ، ولا لاحتلال قطعة من الأراضي المصرية . كما وافقت على أن يوكل لتركيا أمر قمع الثورة العربية فظهرت بمظهر الدولة غير الطامعة في شيء .

وبعد هذا التنظيم البارع سياسيا ، رأت أن تعمل ، وأخذت بوارجها ومدرعاتها تتوالى على ميناء الاسكندرية إبتداء من ١٩ مايو سنة ١٨٨٢ ، وكانت قطع من الأسطول الفرنسى والامريكى واليونانى قد وافت أيضا .

وبدأت القطع البريطانية في التحرش ، فأرسل الأميرال بوشان سيمور في ٦

يوليه انذاراً للحكومة المصرية يقول فيه أنه شاهد تجديداً فى حصون الميناء . ومما يقطع بأن هذا لم يكن إلا من قبيل تحرش الذئب بالحمل ، أن هذا البلاغ لم يكد يصل الى قائد الميناء المصرى ، حتى بدأ الأجانب يهاجرون من المدينة ، ويلجأون الى السفن ، علما منهم بأن المعركة لابد دائرة .

ولما نفى طلبه عصمت باشا قائد الميناء أن التحصينات كانت ترم ، وأنه لم توضع مدافع جديدة ، لم يقنع الأميرال سيمور قائد الأسطول بهذا الرد . وأرادقناصل الدول الأخرى أن يتوسطوا لدى الأميرال لعلهم يستطيعون أن يهدأوا مخاوفه على أسطوله الذى جاء بنفسه الى الاسكندرية والذى لم تزحف اسكندرية نحوه ، فرفض هذه الوساطة بجفاء شديد ، لأنه كان يكره كل ما من شأنه أن يعوقه عن تحطيم المدينة واشعال النار فيها ، وقلب عاليها ، سافلها .

ولما كان الطمع كالمرض ، يتزايد مع الايام مالم يتداركه الزمن بعلاج ، فقد طلب الأميرال سيمور ، من قائد الموقع ، لا أن تقف فقط أعمال التحصينات الجديدة التى زعمها والتى يقسم المسيو جون نينه السويسرى أنه لم ير شيئا منها ، والتى يقرر الأميرال كونراد قائد الأسطول الفرنسى أنه لم يرها ، بل أن تسلم له حصون المدينة نفسها .

وفى يوم ١٠ أنذر الأميرال سيمور طلبه باشا عصمت ، أنه سيضرب المدينة فى الساعة السابعة من اليوم التالى ان لم تسلم له البطاريات المنصوبة فى شبه جزيرة رأس التين وفى ميناء الاسكندرية الجنوبى لتجريدها من السلاح . وفى اليوم نفسه قطع القنصل البريطانى علاقاته بالحكومة المصرية فأخلى القنصلية ، ولجأ الى الأسطول بعد أن سعى فى أن يصحب معه الخديو الى إحدى السفن .

جمع الخديو عدداً من أعيان المصريين مع الوزراء ، وكبار الموظفين ، وقرر الجميع أن ترد الوزارة على هذا الانذار النهائى برد جاء فيه :

« نحن هنا فى وطننا وبيتنا ، فمن حقنا بل من الواجب علينا أن نتخذ عدتنا ضد

كل عدو مباغت يقوم على قطع أسباب الصلات السلمية التى تقول الحكومة الانجليزية أنها باقيـة بيننا . ومصر الحريصة على حقوقها الساهرة على تلك الحقوق وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم أى مدفع ولا أية طابية دون أن تكره على ذلك بحكم السلاح . »

وفى الساعة السابعة بدأت المجزرة .

فقد كانت الحصون قديمة ، لم تمتد اليها يد التعمير والاصلاح منذ أنشئت فى عهد محمد على ، ولم تكن بها مدافع حديثة سوى نحو مائة مدفع ، ركب منها ٦٤ مدفعا ، وقد كانت لا تتوافر لها جميعا أدوات التسديد والتصويب ، فكان سيف النصر بك قومندان قلعة الفنار ، ينتقل من مكان الى مكان ومعه مسطرة واحدة يحكم بها التسديد .

وقد استمر الضرب شديدا مروعا منذ بدأ حتى الساعة الحادية عشرة ، ثم انقطع قليلا ، واستمر بعد ذلك حتى الساعة الثانية عشرة ، ولبث هنيهة ، ليستأنف حتى غروب الشمس . ولقد كانت خطة الأسطول أن تجتمع كل سفينتين حربيتين ، أمام حصن ، ثم تصوبان اليه القذائف فاذا أخمدتا مدافعه وأسكتتاه تقدمت السفن وحصدت بالمتراليوزات المركبة على صواريها الجنود الذين باتوا عزلا من السلاح .

ولم يقنع هؤلاء بقتل الجنود ، ولا بهدم الحصون ، ولا بتذرية المدافع فى الهواء ، انما اقترفوا من الفظائع ، ما نعجب معه أو بعده كيف تجرؤ بريطانيا أن ترفع أصبعها بالاتهام فى وجه المانيا النازية ، ولو درت أن النازيين فى أسود أيامهم لم يرتكبوا ظلما يدانى عشر معشار الظلم الذى ارتكبته بريطانيا يوم ١١ يوليه ، لتوارت بريطانيا بكل نفاقها من العالم الدولى . فان مدافعها تخطت الحصون الى المدينة ، وتجاوزت الجنود الى الاهالى الآمنين ، بل انها انقضت من المساجد ، والمدارس عن عمد . وقد وصف جون نينيه السويسرى فى كتابه « عرابى باشا » كيف حطمت بارجتان مسجدا فى قلعة قايتباى ، وقد نقل عنه الاستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعى بك هذا الوصف الرائع :

« فان البوارج البريطانية بعد أن هدمت القلعة ، اقتربت منها اثنتان فى الساعة الرابعة نحو مسجد كان مقاما فى القلعة ، وكانت تعلوه منارة تعتبر آية من آيات الفن العربى ، وعلى الرغم من أن المسجد والمنارة باتا أعزلين ومات الحماة ، واستشهد الرماة ، إلا أن الاسطول البريطانى احتاج ساعتين ليهدمهما ، ثم ينصرف فرحا بأبطاله الذين جاءوا ليعلموا الناس فى مصر المدنية ، وليحموا فيها النظام . »

لقد كان يوم ١١ يوليه ، يوم عقاب للمصريين الذين ناموا عن حماهم ، فلم يسهروا على هذه الحصون العظيمة ، ولم يسلحوها ، ولم يحسبوا ليوم القتال حسابا . ومع ذلك فان الجنود المصريين أبلوا فى الدفاع عن حياض أمتهم دفاعا صوره جون نينيه فقال :

« ومع ذلك فما كان ابدع هذا المنظر ، منظر الرماة المصريين الذين كانوا قائمين على مدافعهم ، وهى مكشوفة فى العراء وكأنهم فى استعراض حربى لا يرهبون الموت الذى يكتنفهم إذ لم يكن لهم دوارع واقية ولا متاريس ، وكانت معظم الحصون بلا ساتر ، ومع ذلك فهؤلاء الشجعان من أبناء وادى النيل كنا نلمحهم وسط الدخان الكثيف كأنهم أرواح الأبطال الذين سقطوا فى حومة الوغى ، ثم بعثوا ليكافحوا العدو من جديد ويستهدفون لنيران مدافعه . »

هذه هى مصر ، فى ساعات الضعف والاستسلام ، لا تزال تلمع فى ليلها البهيم بوارق من ماضيها ، تخطف البصر ، وتختفى ، ولكنها تؤكد لمن نسى أن هذه بلاد الفاتحين الذين رفعوا مشاعل الحضارة والسلام والانسانية ... وأن هذه البلاد هى التى حمت المسيحية ، وازدهر فى ربوعها علم الاسلام ، وربطت الشرق والغرب .

وإن كنت فى شك من أمر هذه الأمة فانظر ماذا كان يفعل نساؤها ورجالها يوم ١١ يوليه : لقد تطوع المتطوعين من الرجال فحملوا للمقاتلين الذخائر ، وحملوا الجرحى وضمدوا جروحهم ، ثم تقدمت النساء ، فأخذن يغنين ، وهن يحملن الطعام والماء ...

هذه هي مصر المرة الثانية ... لا تفتح أمامها أبواب الاستشهاد حتى تلجها غير هيابة ، إنما على القائد الكريم أن يقدح الزناد ليورى النار ...

فهل من سميع من الشيوخ ، وهل من سميع من الشبان ؟

قبيل الاختصام مع بريطانيا امام مجلس الامن

يستطيع حتى من لا يبصر ، أن يرى من خلال هذه الحوادث أن بريطانيا تعرف كيف تحدد الهدف ، ثم تسير إليه قدما لا تلتوى ولا تنثنى. وهذا هو سر قوتها السياسية فى الماضى ، وهذا هو سر ضعف الذين نازلوها فى الميدان الدولى. فبقدر ما كانت بريطانيا حازمة فى المسألة المصرية ، كانت فرنسا مترددة وضعيفة . فخلا الجو لبريطانيا ، فكسبت كل ما أرادت .

ونحن ننازل بريطانيا فان لم نتخلق بالخلق الذى نستطيع أن نصرعها به ، غلبتنا على أمرنا. فنحن نقول مثلا أن بريطانيا معتدية على بلادنا، وأن وجودها فى أراضينا مخالف لمواثيق الامم المتحدة ، وأن بقاءها فى وادى النيل معكر للأمن ، ومع ذلك فنحن نتصرف على عكس مقتضى هذا القول . فالقوات التى تحتل بلادنا تزيد عن المقرر فى معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وهى مع ذلك تلقى منا كل ما تلقاه الجيوش الصديقة ، فالماء العذب يصل اليها منا ، والأطعمة يوردها المتعهدون المصريون والمقيمون فى مصر ، بل ان الأبنية الحديثة التى تؤسس لهذه القوات تستولى على الأسمنت الذى تصنعه شركاتنا ، وتعمل فيه أيدينا العاملة ... فأى موقف ادعى الى السخرية من هـذا الموقف ، واى تناقض اغرب ، واعجب من هذا الموقف فى تاريخ الامم المكافحة . اننا نشبه الرجل الذى يخاصم جاره امام القضاء فى ارض يقول انها له ، وان جاره اغتصبها منه وفى اليوم التالى يذهب هو واولاده ويقيم لهذا الجار المغتصب منزلا جميلا على الارض نفسها .

فهذه الخبرة بين المخاصمة والمهادنة، لا تؤدى الى النجاح، فى النهاية، ولو كان النجاح حليفنا فى الجولة الاولى.

ولقد رأينا ان بريطانيا كانت تضرب الاسكندرية بالقنابل، وتصلى الآمنين نار الجحيم، وفى استانبول مؤتمر النزاهة منعقدة، وهو يوالى الاجتماعات، ويصدر القرارات المقيد للدول الا يطمعوا فى احتلال شيء من الاراضى المصرية والا يظفروا لرعاياهم بغير ما يباح لبقية رعايا الدول من حقوق. ولكن بريطانيا لم تحفل بهذا المؤتمر، ولا بقراراته لانها تعلم ان الدول لا تخوض الحروب ولا تعلنها، من اجل قرارات وانما من اجل مصالحها الحقيقية المباشرة. ولانها تعرف فوق ذلك ان الدول لا تقوى على الحروب كلما ارادت، وانما كلما استطاعت ولذلك فقد رأت تركيا بأعين مفتوحة ان بريطانيا تدبر مؤامرة السطو على وادى النيل، ولكنها بقيت مع ذلك مكتوفة الايدى لا تفعل شيئا ولا تقدم ولا تؤخر، ولذلك ايضا تأججت سياسة فرنسا وتذبذبت، وانسحبت اساطيلها من مياه الاسكندرية ليلجأ الى مياه بور سعيد، لان فرنسا كانت اضعف من ان تقبل تشتت جيشها بعد حرب السبعين.

ولذلك فنحن يجدر بنا ونحن نتحدث عن الدعاية والسياسة العالمية ان نفهم هذه الحقائق، والا نتطوح مع الخوالى، فالدول التى ستساعدنا هى وحدها التى تقضى عليها مصلحتها ببذل تلك المساعدة، والدول التى ستحاربنا، هى الدول التى تلزمها مصالحها بتلك المحاربة. ولذلك فمن العبث ان ننفق مليا واحدا فى الدعاية ان لم نضع قبل كل شيء سياسة نستطيع بها ان نلائم بين مصالح الدول ومصالحنا. ولا يكفى لاقناع امريكا ان نقول لها أننا سنقف سدا فى وجه الشيوعية، ولا اننا سنشترى منها بضائعها، فانها ستهزأ من هذا كله مالم تر خطرا يهددها ويعيد اليها صوابها. ولا نحسب ان المصريين قادرون على ان يكونوا خطرا على احد طالما انهم على هذا القدر التافه من التنظيم، او انهم على هذا القدر العظيم من الفوضى والثرثرة والتشبث بالفكر المسرحى، والاقامة فى عالم الالفاظ الضخمة، والهتافات الداوية.

وهذا يجرنا الى التحدث عما يجب علينا اذا لم ينصفنا مجلس الامن ، الامر الذى يرجحه المتفائلون قبل المتشائمين . ويرجحونه على اساس هذا الصراع الصريح الناشب بين الكتلتين ، الشرقية والغربيه ، وحاجة الكتلة الغربية الى جبهة تخضع لسلطانها ، فى الشرق الاوسط .

وهذا حديث طويل نجمله فى الآتى :

(١) حياتنا الحزبية فى حاجة الى ثورة . فان لم يشعر زعماء الاحزاب بانهم وانصارهم مطالبون بعمل وهم خارج الحكم ، بعمل انتاجى مادى ملموس ، فانه لا امل فى اصلاح حالنا . ان الملايين من التابعين لحزب الوفد والاخوان المسلمين وغيرهما من الاحزاب ، ان لم يعملوا شيئا ، ان لم ينظم لهم نشاط لتدعيم الصناعة المحلية والدعوة للتعاون ، ومحاربة الامية ، وان لم تفتح المعسكرات فى الارياف ، وعلى الشواطىء لاصلاح اجساد الشبان وتثقيف عقدهم ، وان لم تعقد لهم مؤتمرات سنوية او دورية ، يتعارفون فيها ، ويتلقون التوجيه ، ويلقون فيها البحوث — ان لم نفعل ذلك فانه لا رجاء فى ان نتقدم .

(٢) لابد ان ننظم القوة الشعبية ، وان تتعاون الحكومة معنا فى ذلك ، فالمؤسسات العسكرية ، غير الحكومية التى تغمض الوكالة الصهيونية ، عينها عنها ، هى مؤسسات فى نظر الصهيونى رسمية وشرعية ، وهو يؤيدها بالمال . ويدعمها ، ويرى فيها السبيل الى نجاته . وأمثال هذه المؤسسات هى ضربة لازب على الأمة التى تريد أن تكافح .

(٣) لابد أن تكون للدبلوماسية المصرية الشعبية سياسة هجومية ، سياسة البحث عن الأصدقاء وعقد الصلات بينهم والانتفاع بنفوذهم وبجرائدهم ، سياسة نشيطة لا تقنع بالخطب ، ولا بالنشرات ، ولا تكون موسمية ولا متقطعة ، سياسة مصطفى كامل الدائمة الدائبة المستمرة المتصلة ، سياسة غنية بالفكير وبالدرس وبالعمل الصحفى الممتاز .

كلمة الختام

إن يوم ١١ يوليه يوم حالك بغيض ، يقطر سواداً وعاراً على رأس بريطانيا ، ولكنه ينفث فى عروقنا السم ، إن لم نعرف كيف ننتفع به . ولقد كان هذا اليوم وأمثاله فى الماضى ، من الأيام التى لا يعرفها إلا الحزب الوطنى ، فلا يحتفل بها سواه ، ولا يتحدث عنها غيره ، حتى ظن الناس أن تاريخ مصر القومى ، هو وقف على الحزب الوطنى ولكن حمداً لله لقد زالت هذه الغشاوة ، وفهم الناس أن الأمة فى أشد الحاجة الى ما يلهب كبرياءها من أيام عارها .

فليمش إذن يوم ١١ يوليه بين الايام مجللا بالسواد وليلهج فى الشعب شعور العزة الجريحة ، وليدفعه إلى أن يعمل ، وإلى أن يضحى ، وإلى أن يغسل عن نفسه وعن أبنائه عار هذا اليوم الحزين .

ولنبتهل إلى الله أن نلتقى فى العام القادم ، وقد القينا بالبرابرة الانجليز إلى خارج أرض الوطن ، وقد نفض العالم عن نفسه عار الاستعمار ، فازداد تقاربا وتفاهما وحبا ... آمين .

حافظ رمضان باشا يتحدث

عن بيان مصر وبيان بريطانيا فى مجلس الامن
الانجليز يذكرون معاهدة، ويتناسون معاهدات

تحدث سعادة الأستاذ حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى عن الخطاب الذى ألقاه السير الكسندر كادوجان رئيس وفد بريطانيا فى مجلس الأمن رداً على خطاب دولة النقراشى باشا فقال :

لا ريب عندى فى أن القضية المصرية من أعدل قضايا الشعوب، ولهذا كان التوفيق الذى ظفر به دولة رئيس وزراء مصر فى عرض تلك القضية توفيقاً باعثاً على الرضا أما ما ابداه رئيس الوفد البريطانى فعليه مسحة الاعتزاز بالقوة البريطانية لأن ذهب الى أن معاهدة سنة ١٩٣٦ تخرج عن اختصاص مجلس الأمن، وأنه لايجوز المساس بها دون موافقة انجلترا العظيمة . ولم يرد مع ذلك على الاعتبارات التى أبداها رئيس وفد مصر من أنها مناقضة للمعاهدات الدولية .

ولا أريد أن أقف عند حد معاهدة سنة ١٨٤٠ وقد أشار اليها دولة النقراشى باشا وإنما يجب على وفد مصر أن يعيد على ذاكرة المندوب البريطانى أن انجلترا بعد أن دست مسألة مصر فى « معاهدة سيفر » وألزمت تركيا المغلوبة على أمرها أن تنزل عن حقوقها فى مصر لانجلترا، وبعد أن قامت الثروة التركية وقاد جيشها الغازى كمال أتاتورك وانتصرت جيوشه على أعدائه وأمضت « معاهدة لوزان » التى رفع فيها نص التنازل لانجلترا أصبحت مصر بذلك مستقلة باعتراف الدول

* عدد الاهرام ١٩٤٧/٨/٨

الموقعة على « معاهدة لوزان » ومنها انجلترا . ومن هنا نرى الفرق الهائل بين الحقيقة وبين ما يدعيه السير الكسندر كادوجان فى قوله أن استقلال مصر لم يعلن الا بموجب تصريح اصدرته بريطانيا من جانبها وحدها ، والحقيقة أن الاستقلال كان موجوداً قانونيا ودوليا عقب إبرام معاهدة لوزان ولا فضل فى ذلك لانجلترا وانما الفضل كل الفضل لفريق من أبناء مصر من الحزب الوطنى الذى سافر الى أنقره وأقنع رجال تركيا بألا يكون التنازل لانجلترا كما كان فى معاهدة سيفر وبذلك فشلت انجلترا فى محاولتها الاستعمارية . أما تصريح انجلترا الذى يشير اليه السير الكسندر كادوجان فهو تصريح بشروط أربعة معروفة للجميع هدمت بالاستقلال المصرى من جهاته الاربع . كذلك يتجاهل ممثل بريطانيا أن الحكومة البريطانية فى إبان الازمة الحبشية اعترفت بلسان تشمبرلن بمعاهدة سنة ١٨٨٨ وأعلنت احترامها إياها . ولا يكون معنى لهذا الاحترام إلا إذا كان لمصر وحدها الحق فى الدفاع عن قناة السويس . ووجه الأهمية فى هـذا الاقرار أن معاهدة سنة ١٨٨٨ تلقى أصلا عبء الدفاع عن القناة على مصر وحدها ، وقد أمضت بريطانيا هذا العقد الدولى فلما انتوت ايطاليا غزو الحبشة تذكرت بريطانيا من تلقاء نفسها ولم تنس كما يتناسى الآن مندوبها فى مجلس الآمن هذه المعاهدة — وذكرت بها ايطاليا وطلبت منها احترامها ، وقد أبلغت إيطاليا وزيرنا المفوض بروما بهذا التذكير ، فأبلغه الوزير المصرى بدوره الى وزارة خارجيتنا .

ثم ماذا يقول السير الكسندر كادوجان فى أن وزير خارجية بريطانيا أعلن أمام العالم أجمع أن تدخل روسيا فى مسألة « البواغيز » يعتبر هدما لاستقلال تركيا وتدخلا فى شؤونها مما لا تسمح به انجلترا فخطة السير السكندر فى مجلس الأمن وخطة بلاده قبل ذلك هو محاولة منهما للجمع بين المتناقضين والكيل بكيلين . وفى هذا المعنى تفصيل أوردته فى مقـال نشرته جريدة « الموند » الباريسية و « واشنجتن بوست » الأمريكيـة . فالانجليز يتمسكون بمعاهدة ويتناسون معاهدات ...

أما البراعة التي ينسبونها إلى ممثل بريطانيا في اتهامه مصر بأنها تريد أن تقرر مبدأ لا نظير له في القانون الدولي ولا ترضى عنه العدالة ، الا وهو مبدأ السكوت على الدولة التي تلجأ إلى تهديد السلم والأمن بمجرد رغبتها في التحلل من التزاماتها الدولية . فهو براعة مكشوفة إذ أن الوضع الصحيح هو أنه لا يوجد عدل ولا قانون يسمح لدولة قوية كانجلترا أن تضغط بجيوش احتلالها على بلد صغير لتنتزع منه معاهدة تناقض المعاهدات الدولية وتناقض ميثاق هيئة الأمم المتحدة وهي بهذا التعسف تهدد السلم والأمن . فتلك البراعة هي في قلب الحقائق وعكس الآيات.

— قلنا لسعادته : ألم يكن من الخير أن تكون في الوفد الرسمي للدفاع عن القضية .

فأجاب : أنه لم يحجم لحظة واحدة عن إعطاء كل ما لديه من ملحوظات ومعلومات للوفد وأعضائه . وأعتقد ان الوفد سيبدى هذه الملاحظات وغيرها عند المناقشة يوم الاثنين ، وإذا كانت هناك مسائل امسك الوفد عن ذكرها إلى الآن فلا شك أن ذلك راجع إلى اعتبارات رآها الوفد بحكم وجوده في موقع المساجلة .

أما نحن هنا فيجب علينا أن نقف متضامنين مطالبين بكامل حقنا ولسنا في مقام الحاجة في الألفاظ ، ولا تصيد سقطات هيئات ، وإنما العبرة أننا انتهينا من المفاوضة المباشرة مع الانجليز ودخلنا حلبة الخصام معهم على مشهد من العالم فيجب أن نتآزر وأن نعتمد على تضامننا حتى لا نضعف أو يضعف فريق منا ، فنكرر مأساة سنة ١٩٣٦ بمعاهدتها التي تعض عليها بريطانيا بالنواجذ .

بعد مناقشات مجلس الامن

من حافظ رمضان باشا الى أبناء وادى النيل

تلقينا من سعادة الاستاذ محمد حافظ رمضان باشا البيان الآتى :

ايها المواطنون

لقد استمعت كما استمعتم إلى مناقشات جلسة الأربعاء الماضى من جلسات مجلس الأمن ، فتبينت مع الألم الممض أن العالم لا يزال يتعثر فى المساومات ، ويتخبط فى سياسة قوامها الأخذ والعطاء . وكل ما فى الأمر أن الساسة اصطنعوا أسلوبا أنيقا لتغطية حقيقة مراميهم بغطاء هو فى الواقع شفاف لا يخفى شيئا منها. وإذا وجدت دولة من الدول الكبرى تناصر الحق والعدل ، أو بعضه ، فقد تصدر فى تلك المناصرة عن غرض قد لا يمت بشىء كبير إلى الحق والعدل .

والظاهر من مناقشات مجلس الأمن أن أعضاءه لم يأبهوا بحقيقة لا يمكن نكرانها ، وهى أن المفاوضات مع بريطانيا فشلت فى جميع ادوارها ، فكانت فى فترة الثلاثين سنة الأولى عقب احتلالها لمصر دائرة بينها وبين تركيا ، وقد أخفقت . ثم عادت تلك المفاوضات مع مصر مباشرة ثلاثين سنة أخرى من عهد الثورة ولم تنجح . وسبب هذا الفشل هو أن بريطانيا تريد أن تستبدل باحتلالها معاهدة تقوم مقامه وتحقق أهدافه .

الاهرام عدد ٢٢ / ٨ / ١٩٤٧

والعجب أن بعض أعضاء مجلس الأمن الذين نصحوا باستئناف المفاوضات تجاهلوا تلك الحقائق التاريخية الصارخة ، وتجاهلوا ما هو اعظم بل ما هو أدهى، وأعنى ما صرح به فى الحال السير كادوجان فى عبارة لا لبس فيها ولا غموض، كانت خليقة أن تنبه هؤلاء الأعضاء ، لو لم يكن المساومات الشأن الأول فى توجيه المناقشات والايحاء بمقترحات .

لقد قال السير كادوجان : « يجب أن يكون مفهوما أن المعاهده ستظل سارية إذا أخفقت المفاوضة . » ومعنى ذلك أن بريطانيا تضع فوق رقبة مصر سيف داموقليس . فان لم تعطها معاهدة تحل محل الاحتلال وتقفل فى وجهها باب الشكوى أمام مجلس الأمن بقيت معاهدة سنة ١٩٣٦ ترهق انفسنا .

فاذا كان أعضاء مجلس الأمن الذين اقترحوا المفاوضة المباشرة قد تجاهلوا معانى هذا التهديد ، فان واجب وفد مصر أن يبرز هذا المعنى الذى ترمى اليه انجلترا فلعل مجلس الأمن إذا اتضحت له هذه الحقيقة أن يفقه أن تنفيذ الجلاء لا يحتاج إلى مفاوضات ثنائية مباشرة خارج المجلس بقدر ما يحتاج الى قرار صريح بوجوب الجلاء وبقصر المحادثات داخل المجلس عن طريقة تنفيذه .

ولست أتردد بعد هذا أن أصارح مواطنى الأعزاء فى أن واجب كل شعب يريد الحرية والاستقلال بالمعنى الذى يفهمه الحزب الوطنى أن يمد يده إلى من يناصر هذا الحق والعدل مهما كانت الدوافع إليها ، ذلك لأن هذا هو الطريق السياسى الوحيد لتلك الأمم فضلا عن امر طبيعى تقضى به الغريزة الانسانية. وقواعد الاخلاق فى كل زمان وفى كل مكان إذ ليس من السائغ أن أقبل اليد التى تصفعنى وأتجاهل اليد التى تصافحنى

ولقد اتبع الحزب الوطنى هذه السياسة منذ نشأته ، ولم يعبأ بما وجه اليه من الاتهامات المضللة . فقد اتهمه الانكليز بأنه يريد إستبدال الاحتلال الفرنسى بالاحتلال البريطانى وأنه لا يريد استقلال البلاد وإنما هو صنيعة الأتراك. وحق

فى الأيام الأخيرة اتهم الانجليز كل الحركة الوطنية فى أعقاب الحرب الماضية بأنها حركة اشتراكية وأنه لا يبعد ان تكون للبلاشفة يد فيها وأعلنوا ذلك فى مجلس البرلمان البريطانى . وهنا ألفت نظر رجال الحزب الوطنى وكل صادق فى وطنيته ألا يعير تلك الاتهامات شيئا ولا يأبه بها . وألا يجعل لها وزنا فى ميزان تصرفه السياسى فى هذه الظروف الحرجة .

أريد أيها المواطنون الأعزاء أن نجابه الحقيقة وننظر إلى مصلحتنا دون أى اعتبار آخر وألا نمد أيدينا ولا نتعاون إلا مع الدول التى تناصرنا فى قضيتنا أمام مجلس الأمن وإنى أرجو أن تكون حكومتنا قد قصدت إلى هذا المعنى حين منحت بولندا مهلة ستة أشهر بعد الميعاد المحدد لدفع ثمن الأقطان المبيعة لها من مصر ، كما أن لنا أسوة فى بريطانيا نفسها التى حاربت روسيا والبلاشفة منذ الحرب العالمية الأولى ، وبعد ربع قرن من الزمان تصالحت مع روسيا التى لم تغير شيئا من نظامها الاجتماعى والاقتصادى وهو اساس النزاع بينها وبين بريطانيا .

أيها المواطنون الكرام : على الشعب ، وعلى الحكومة أن يعرف صديقه من عدوه وعلينا جميعا أن نوثق علاقاتنا الاقتصادية وروابطنا الثقافية مع الدول التى تناصرنا فى مجلس الأمن ولنضع خططا عملية تحقق الهدف ، ولنتذرع بشجاعة القلب وصراحة القصد ، والصبر الذى يؤتيه الله المجاهدين .

حافظ رمضان باشا يتحدث :

ماذا أفعل لو كنت مكان النقراشي

سألنا سعادة حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطني عن رأيه في اقتراح مندوب البرازيل في مجلس الأمن ، عودة مصر وبريطانيا للمفاوضات فقال :

أظنني آخر شخص في هذه البلاد ، يحتاج الى بيان رأيه في اقتراح البرازيل. فأنا رئيس الحزب الذي قضى نصف قرن يحذر الناس من المفاوضة ، ويعلمهم شرورها ، ويضرب لهم الامثال على سوء مغبتها . وقد اتخذت لتثبيت هذه الفكرة في النفوس ، ولغرسها في العقول ألف سبيل وسبيل ، لخطب وكتب ، وضرب الأمثال من التاريخ ، وتعرض لكل أذى وهو يقوم بهذا الواجب الوطني .

ومع هذا فان اقتراح مندوب دولة البرازيل في حاجة الى تفصيل ، لانه رأي أبدى من دولة غير بريطانيا ، وفي ظروف دولية جديدة غاية الجدة ، وهو متصل بملابسات دبلوماسية دقيقة .

المساومات الاستعمارية

وأول ما ألاحظه أن ماجريات جلسة الأربعاء الماضي أمام مجلس الأمن ، تنم عن أنها دبرت بمهارة ، فلست أعتقد أن بريطانيا أو امريكا قد فوجئتا بشيء مما جاء في خطبة مندوب البرازيل ، واذا كنت أقول ذلك على سبيل الترجيح

* عدد أخبار اليوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٧

بالنسبة لبريطانيا ، فهو على سبيل القطع بالنسبة للولايات المتحدة ؟ ولم يكد مندوب البرازيل يلقى اقتراحه ، ثم يتكلم مندوبا روسيا والصين ، حتى وقف مندوب انجلترا ليقطف فى الحال ثمرة ما دبر فى الأروقة ، وما نسق فى دهاليز المساومات الاستعمارية ، واقبية المطامع القديمة الرجعية .

بطلان معاهدة ١٩٣٦

أنا لا يهمنى كثيرا أن اقف امام تفاصيل هذا البحث القانونى الذى خاض فيه مندوب البرازيل لان خلاصته ان معاهدة سنة ١٩٣٦ قائمة . وانما الذى احب ان اضعه تحت نظر كل مواطن فى وادى النيل هو هذه العبارة الصارخة التى تضع ايدينا على اول الخيط . قال مندوب البرازيل :

« ولم تتخذ الحكومة المصرية من جانبها قرارا يقضى بعدم الامتثال للمعاهدة التى استنفذت فى رأى مصر أغراضها بل على العكس سعت الى تسوية أوجه الخلاف عن طريق المفاوضات المباشرة مع المملكة المتحدة ، والوفد البرازيلى يرى أن هذه المفاوضات يجب أن تستمر . »

وليس لهذا الكلام سوى معنى واحد هو أن مندوب البرازيل ينعى على مصر أنها لم تعلن بطلان المعاهدة ، أو أنها لم تعلن عدم خضوعها لها ، أو تحللها منها . ولقد دأبنا منذ انتهت الحرب ، على طلب إعلان هذا البطلان ، وقد كنا لا نستطيع أن نفتر عن هذه الدعوة ، لأن الساسة البريطانيين كانوا كل يوم يعلنون تمسكهم بالمعاهدة ، ويعتبرونها قيدا يلزمنا حتى آخر المدى ..

ولما بدأت المفاوضات حذرت المفاوضين أن يقدموا مشروعات وأن يدخلوا فى التفاصيل ، لان ذلك كله سيكون معناه أن المعاهدة قائمة ، وأن البحث يدور حول تعديلها ، بينما كان الواجب أن نطلب الى بريطانيا الجلاء عن الوادى كله ، وهى التى تعرض ما تشاء من المشروعات ، فنرفضها جميعا ما لم تكن متضمنة الجلاء

عن الوادى كله بلا قيد ولا شرط وبلا مقابل نبذله من جانبنا .

وأنى لاذكر أن أحد أعضاء الوفد المصرى لمجلس الامن ، كان يزورنى وأنا مريض ، فناشدته أن يراجع نفسه وزملائه فى وجوب إعلان بطلان المعاهدة ، وابراز صفات « النزاع » وخصائصه فى الموقف القائم بيننا وبين بريطانيا ، فقال أنه يكره أن توصف مصر بأنها فسخت المعاهدة من جانبها ، وأنها تخرق حرمة الاتفاقات ، فسمعت هذا الجواب متألما ، لانى لا أعرف أن الطريق الى الحرية ، طريق وردى حريرى ، لايتعرض فيه طالب الحرية للاذى أو الاتهام أو النقد . ولانى أعرف أن الحرية ستبقى بعيدة عن ايدينا ، اذا لم نشق طريقنا اليها بالاكتاف .

فى براثن الطمع الانجليزى

ولست أحب أن أفرغ من التعليق على رد مندوب البرازيل ، قبل أن أشير الى أن المفاوضات التى أقترح العودة اليها ، غير محددة بشىء . فلم يبد من قوله انه يقترح المفاوضة فى الجلاء الذى أعلنت بريطانيا قبوله . فكأن دولة البرازيل تريد أن تلقينا فى براثن الطمع البريطانى ، لينتزع منا معاهدة ، تحل محل الاحتلال ، وتقوم مقامه .

حرب ثالثة ورابعة

ولست ممن يحبون التهويل ، ولا يميلون الى الاسراف فى التهديد . وانما لا أجد مفراً من أن أحذر البرازيل والذين اتفقوا معها على وضع هذه الخطة الظالمة ، من عاقبة هذا المسلك الذى سلكوه . فان المعاهدات الثنائية هى موطن لجرائم النزاع الدولى ، وهى مثار الحروب ، ومصدر الخلافات ، فاذا كانت هيئة الامم وهى فى فجر حياتها ، تبارك المعاهدات الثنائية ، حتى بين الدول الصغيرة والكبيرة وحتى فى ظل التهديد بالاحتلال .

فلتفتظر البرازيل ، وتنتظر الولايات المتحدة ، والعالم بأسره حربا ثالثة ورابعة ... والله وحده الذى يعلم من سيكون صغيرا من الدول ومن سيكون كبيرا فى أعقاب تلك الحروب . ومن سيطلب الانصاف ومن سيعطيه .

لقد اتعظ الثعلب فى القصص الخرافية برأس الذئب الطائر ، ولكن واحدة من الدول الكبرى لا تريد أن تتعظ بدواتى اليابان والمانيا ، وقد تدهورتا من مكانهما العالى بين الامم .

لو كنت مكان النقراشى

ثم سألنا سعادته : ما تفعل لو كنت مكان النقراشى ؟

فاجاب على الفور وفى تحمس : ان الفرصة لم تضع . فالنقراشى باشا يستطيع أن يعلن فى الحال ، كما فعل كادوجان ، إن بلاده لن ترتبط بعد اليوم بالمعاهدة ، وهى تعتبرها باطلة ، وهى تعلن الامم بهذا البطلان وسترتب سياستها ، وتدير أمورها وخارجية على هذا الاساس .

أما ماذا يفعل عند عودته فهذا يتوقف على ما اذا كان ينوى أن يقود من مقعده الحكومى ، الحركة الوطنية . ام سيواصل سياسة انصاف الامور .

فاذا اختار لنفسه الشرف العظيم ، وقرر ان يوجه الحركة الوطنية او يساهم على الاقل فى توجيهها ، فعليه ان يقطع كل صلة سياسية واقتصادية بينه و بين بريطانيا فيسحب السفير المصرى ، ويكف الشعب والحكومة عن تموين القوات البريطانية المعسكرة فى القنال وما حولها ، وتقاطع مقاطعة تامة ، ويطالب الى الجامعة العربية تنظيم هذه المقاطعة فى الشرق العربى كله . ونبادر بتقوية دفاعنا ، واستيراد ما يلزم لهذه التقوية من كافة الدول ، عدا بريطانيا ، ولو من روسيا نفسها . ونحطم (قوقعة) الخوف التى وضعتنا فيها سياسة بريطانيا فننشىء علاقات وثيقة ثقافية وسياسية بكل الدول التى اعانتنا فى مجلس الامن ، فنوفد اليها كتابنا ، ونشجع شبابنا الذين يطلبون العلم فيها .

ونشحذ سلاح الدبلوماسية المصرية على النحو الذى عرفته الوطنية المصرية فى عهد مصطفى كامل . فنطلق كتابنا وخطباءنا فى المواطن الحساسة للسياسة الدولية ، يكتبون ، ويخطبون ، وينشئون صداقات ، ويمونون المفكرين والسياسيين والنواب ، بما يعين على مناهضة سياسة الاستعمار البريطانى الذى تؤيده الآن الولايات المتحدة .

اننا لا شك ستصيبنا جروح فى هذا السبيل ، بل لا بد ان تقع منا ضحايا . ولكنى لا اعرف حركة وطنية تقوم كلها فى صفحات الجرائد ، وعلى اعواد المنابر ، فلا بد ان ندفع المهر الغالى الذى كتب للحرية فى كل عهد .

ولا بد قبل ذلك ، ان نهيء شبابنا لهذا العمل الطويل الشاق ، فنطهر حزبيتنا من روح استغلال الشبان ، دون تنظيمهم او تثقيفهم او تدريبهم . هذا البرنامج متماسك لا نكاد نبدأ فى جانب منه ، بروح العزم والاصرار ، حتى تراك مضطرا الى اكماله كله .

المعول على الشعب

ثم سألنا سعاته بعد ذلك : هل لديكم اقوال اخرى .

فقال : نعم ، وضرب بيده المنضدة . ثم قال :

اناشد الشعب ان يراجع حساب ثقته التى بذلها جزافا طوال ربع قرن . عليه أن يضع هذه الثقة فى الذين اخلصوا له النصح ، وهدوه سواء السبيل . عليه ان يعرف ان الذين زينوا له المعاهدة قد خدعوه ، وزيفوا له الحق وجملوا له الباطل ، عليه ان ينحى هؤلاء عن طريق الوطنية المصرية ، وان يطالب اليهم ان يقبعوا فى دورهم فلقد لعبوا دورهم كما حددته السياسة الكرومرية . عليهم ان يخلوا الطريق لوطنيين دعوا الى مخاصمة بريطانيا ، وحذروا من شر التعاون او التحالف أو التعاقد معها . وبهذا تطهر السياسة المصرية من الكدر الذى شابها ، وتندفع الامة الى ما يكتب لها الشرف ، أو الحرية ، أو كليهما معا .

خطاب سياسي لرئيس الحزب الوطني

الإسكندرية في ٢٨ — لمراسل الأهرام . أقامت لجنة الحزب الوطني بالإسكندرية في الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم اجتماعا سياسيا عاما في مسرح المواساة حضره جمع كبير من أعضاء الحزب وأنصاره .

وألقى فيه سعادة حافظ رمضان باشا رئيس الحزب ، خطابا ضافيا ، عن الموقف السياسي .

بدأ سعادة محمد حافظ رمضان باشا خطابه بأن حيا الحاضرين ثم أشار الى أن الحزب الوطني في إجتماعاته الماضية كان يجدد العهد في وقت ظروف قاسية ، وأوقات مظلمة . ومع كل هذا فقد ثبت ، وكان يجدد عهده بين أعضائه من وقت لآخر.. أما اليوم فقد جاء تجديد العهد في وقت هو من أسعد الأوقات ، إذ وصل فيه الوعي القومي الى ذروة جعلت الخاطئين يستغفرون لذنوبهم والمضللين يتنكرون لماضيهم .

ومضى بعد ذلك فقال : نجتمع اليوم لتجديد العهد في هذه الأوقات السعيدة . وإني أصارحكم القول أنه لولا جلجلة حقكم ، ولولا دوي مطالبكم الوطنية ولولا ثباتكم وصدق عزيمتكم ، ما كنا نسمع اليوم صوت مصر يملأ الآذان . ويرتل أناشيدكم التي لقنتموها لمواطنيكم منذ زمن طويل تلك الأناشيد الحبيبة لكم والتي تتضمن الجلاء ووحدة وادي النيل .

ولا أخفي عليكم أن ما وصلنا إليه الآن إنما كان نتيجة لمعركة بين الحزب الوطني والاحتلال البريطاني ، معركة قد لا تظهر واضحة أمام قصيري النظر ، لكنها بينة المعالم للذين درسوا حياة الشعوب وتطوراتها .

---

* الاهرام عدد ٢٩ / ٨ / ١٩٤٧

فالغاصب كان يحاول دائما أن يغرر بألفاظ الصداقة والاعتماد عليه. والحزب الوطنى إنما كان يدعو الشعب الى مقاومته ومحاربته ، والى التحذير من الدهاء السياسى ، الذى يتوسل به المستعمرون دائما للسيطرة على الأجانب والمخدوعين.

ولو اقتصرت هذه المعركة — معركة الشعور الوطنى والاحساس بالشرف — على الحزب الوطنى والاحتلال البريطانى لما دامت سوى فترة قليلة. غير أن ضعاف القلوب من أبناء هذا الوادى والمتهالكين على المال والجاه ، إنضموا الى صفوف الاحتلال . لهذا دامت تلك المعركة خمسة وعشرين عاما . ولا ريب عندى كما ان البلاد كانت ستخسر حريتها الى أجيال عديدة لا يعرف إلا الله مداها اذا قدر للحزب الوطنى أن يخسر هذه المعركة لأنها معركة الفضائل الوطنية والشعور القومى والاحساس بالشرف من جانب ، والاستسلام والتسليم للغاصب من جانب آخر ، وما من أمة فقدت عقيدتها الوطنية إلا فقدت حريتها .

لقد وليت رئاسة الحزب الوطنى فى تلك الظروف ، وأعضاء الحزب مشتتون بين السجون والمنافى ، فخاطبت الجماهير وحادثت الصحف وشرحت قضية البلاد على المنابر ، داخل البرلمان وخارجه. ووجدت من أبناء هذه البلاد فريقا من صادقى العزم ، ثابتى الجنان كانوا عونا كبيرا لأداء مهمة هى فى الواقع أكثر شدة وأكبر هولا من خوض موقعة حربية يسمع فيها صليل السيوف ودوى المدافع . ولكنها تنتهى بعد أيام أو ساعات . أما معركتنا الوطنية ضد الاحتلال لمعركة جهاد شاق طويل مؤلم محزن .

وإنما أذكر هذا الماضى الذى قضيته وأذكر معه إنى لم أشأ خلال شدائده أن أسكب دمعة واحدة حزينة حتى لا أدخل اليأس والوهن فى قلب هذا الشعب الكريم . فاسمحوا لى الآن أن أسكب دموع الفرح والسرور إن واتانا الله بهذا الظفر الذى يقتضينا فى الواقع أن نجدد العهد بيننا لخوض غمار معارك أخرى تنتظرنا فى القريب العاجل .

بيد أنى أشاطركم ألا تزهو بنتيجة عملكم وألا تفاخروا أحدا . فالله يغفر للخاطئين ويرحم المضللين . أما الوطنى فيستعيذ بالله من هؤلاء وأولئك . ونحن ندعو الله أن ينضموا الى صفوف الوطنيين الصادقين فى المراحل الآتية حتى لا يجد الغاصب عونا من بعض أبناء البلاد كما وجد ذلك فى الماضى القريب . فان الساعة ساعة اتحاد وتطهر .

وهنا استرسل سعادته فى شرح أدوار القضية قبل سنة ١٩١٩ وبعدها وابان الاخطاء التى ارتكبت ومحاولات بريطانيا لانجاح سياستها فى ميدان السياسة الدولية . ومحاولتها نهائيا بأن تتخذ من الاتفاق مع مصر ما قد يؤثر على مركز مصر السياسى من الجهة الدولية .

معارك المستقبل

ثم قال : نعم أيها الاخوان . أمامنا ميدان السياسة الدولية ، وميدان العمل الداخلى ، وقد قلت قبل اليوم أن واجبنا فى السياسة الدولية يقتضينا أن نعلن بطلان إتفاقيتى سنة ١٩٣٦ و١٨٩٩ وأن نتعاون ما استطعنا مع الدول التى تؤيد وجهة نظرنا جهرة وعلانية . ونبدأ بمخاصمة الغاصب بأن نسحب سفيرنا من لندن ، وأن نقطع علائقنا السياسية والتجارية معهم ، وأن نوجه كل جهودنا الداخلية أولا إلى تعزيز قوة دفاعنا ، فنحبس كل ما نستطيع حبسه من أموال الدولة واحتياطها لتكبير الجيش وإنشاء المصانع التى وقفت البعثة العسكرية فى سبيل إنشائها ، وهى مصنع الذخيرة والاسلحة والطائرات .

ويحضرنى فى هذا المقام ما جرى بينى وبين القائم بأعمال المفوضية البولندية قبل الحرب الاخيرة . فقد أخبرنى عند استعداد حكومته لمد بلادنا بالاسلحة وبمصانع الاسلحة والطائرات ، وحاولت مع وزير الدفاع وقتذاك أن تنفذ تلك المشروعات وتقبل تلك العروض ، ولكن البعثة البريطانية وقفت فى وجه التنفيذ . فلما قامت الحرب باعت لنا بريطانيا نفس تلك الاسلحة بأضعاف الأثمان

التى عرضتها علينا بولندا ، مع أنها كانت قد استعملت حتى كادت تبلى ، فلم تكن البعثة العسكرية البريطانية سوى بعثة تجارية استخدمت أقبح أساليب الوسطاء والسماسرة .

السبيل الى التنفيذ

ولا يتساءل أحد كيف يكون التنفيذ ، فان ذلك فى يد الشعب ، والشعب إذا تنبه قال ، وإذا قال فعل . ولنا فى ماضى جهادنا أسوة حسنة .

وإلا فمن الذى كان يستطيع أن يقول منذ بضع سنوات إن مبادىء الحزب الوطنى تصبح اليوم حقيقة بعد أن كانت خيالا ؟

ألم تروا أنهم كانوا يهددوننا بشبح الفشل والخيبة ، فاصبح هذا الفشل يجد فى أثرهم .

إن سبيل التنفيذ قد رسم فى كل كتاب سماوى ، وبين فى تاريخ كل حركة وطنية . فلتتصفحوا تاريخ العرب فى عهد الدعوة المحمدية الكريمة ، ولتقرأوا تاريخ المسيحية كيف بدأت وكيف انتشرت وكيف قامت على اسسها الدول .

ولتقرأوا تاريخ مصر فى عهد محمد على . وإرلندا تحت قيادة الشين فين ... ففى كل هذه الصفحات تتكرر الآيات ويتأكد المعنى .

فلابد أن نؤمن فنعمل ، إن الله لم يكف عن مخاطبة عباده الصالحين فى كتابه المنزل بهذه العبارة « يأيها الذين آمنو وعملوا الصالحات » .

وقد بدأ نور الايمان يشرق فى القلوب . ولكن لابد أن يتوغل فيطرد من كل قلب آخر بقايا التردد والاستسلام ، والخوف من مجابهة الغاصب . ولا بد أن يتضامن المؤمنون فلا يتفرقون فى معسكرات صغيرة متعددة . ولابد أن يقضوا على وباء التزعم والظهور والتنافس على الرئاسة ، لتخرج لنا وحدة قوية ، وانبن بسواعدنا جبهة توهن الصخر . ولا يزيدها الزمن إلا ثباتا . وهأنذا أعان بأعلى

صوتى بأنى أصغر جندى فى ميدان الجهاد الجاد الصارم . وبأن عند التزاحم على الجلاد والصراع سيحتل المكانة الاولى من بذل أكثر من سواه ، فاذا استقر الايمان فى القلوب ، ونظمت الصفوف ، واختفت هذه الفرق الصغيرة مندمجة فى جيش الوطنية الاكبر ، وجب أن نقضى على آثار الماضى .

فالذين دعوا إلى المهادنة ، والذين صافحوا يد الغاصب والذين حثوا على مصادقته والتحالف معه ، عليهم أن يتركوا السبيل ويفسحوا الطريق لايمان جديد ، ومدرسة جديدة وسواعد جديدة وعلى الشباب أن لا يحيوا هذا الماضى بمحاولات بريئة ولكنها ضارة .

وهنا قال سعادته أنه يشق على كثيرا أن نرى إلى جوارنا الصهيونيين ، وقد أقاموا مستعمرات اقتصادية ومزارع وحولوها إلى جنات بسواعد الشباب المدرب ، ونحن ندعو إلى إنشاء صناعة كبيرة فى مصر الفتية ، ولا نجد لهذه الدعوة صدى مجيبا .

واختتم خطابه قائلا : وإنى لابعث فى الختام تحية مقرونة بالاعجاب إلى سوريا ومندوبها العظيم ، وإلى روسيا وبولندا ، وليعلموا جميعا أننا لن ننسى جميل من أحسن إلينا ولا إساءة المسيئين .

رأى حافظ رمضان فى :*

١ ـ الموقف الحاضر

٢ ـ هل تقوم فى مصر ثورة ؟

دار هذا الحديث بين المستر ويليامز فرارى من مجلس الصلات العامة بأمريكا وبين حافظ رمضان باشا .

وقد قام بترجمة الحديث بينهما الاستاذ عبد الخالق ثروت .

لا استعمار عسكريا ولا ماليا

سأل حافظ باشا عن رأيه فى الموقف الحاضر فى مصر ..

فذكر سعادته أن جهود مصر كلها الآن منصرفة الى إزالة الاستعمار البريطانى العسكرى ، وكذلك الاستعمار المالى اذ يجب أن تتخذ الخطوات نحو تأميم البنك الاهلى وتصحيح الموقف الحاضر الخاص بطريقة تغطية أوراق البنكنوت . كما أن مصر تتعاون مع جاراتها وتقوى علاقاتها مع الشعوب العربية ومع كافة الدول الصديقة التى تناصر الحرية ، هذا مع تنمية مواردها التجارية وتشجيع المشروعات النافعة . وذكر المراسل أن الحكومة البريطانية قد انفقت عن بذخ وسعة أموالا طائلة فى سبيل كسب شعور مجلس الامن والرأى العام الامريكى ولفت حافظ باشا نظره الى أن هذه الاموال استنزفت من جيوب المصريين وغيرهم من ذوى الحقوق المهضومة .

* اخبار اليوم عدد ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٤٧

مدى نفوذ الحزب الوطنى

وسأله المراسل بصفته رئيسا للحزب الوطنى عن مدى نفوذ الحزب ..

فقال حافظ باشا إن الحزب الوطنى كافح لاجل خطة هى الا مفاوضة الا بعد الجلاء وقد كانت هـذه الخطة موضع خلاف بين المصريين ، فأصبحت الآن موضع الاجماع المطلق ، وانه فى العهد الحديث قامت هيئات كثيرة لكنها جميعا تدين لخطة الحزب الوطنى ، ولذلك فأن من السهل أن تتفق هذه الهيئات والاحزاب مع الحزب الوطنى . وان مما ساعد على توطيد هذه العقيدة فى نفوس المصريين كافة حادث ٤ فبراير ، حين ظهر الانجليز على المسرح سافرين ، بينما كانوا قبل ذلك يحققون أغراضهم من وراء الستار .

ذكر حافظ باشا أنه يعتبران قيام ثورة فى مصر الآن سابق لاوانه ، وأنه يجب حين يدعو الداعى الى الثورة أن تشترك معنا شعوب الشرق كله ، فهم يشاركوننا نفس الشعور ، وقال ان سكان مصر يبلغون عشرين مليون نسمة . وأن الدول العربية المجاورة يبلغ عدد سكانها حوالى خمسين مليونا لذلك فان من مصلحة أمريكا أن تكسب صداقة مصر وصداقة هذه الشعوب .

امريكا تضحى بسمعتها

وقال أنه يستسيغ أن تساعد أمريكا صديقتها انجلترا ، ولكنه لايفهم كيف كيف تصل هذه المساعدة الى درجة التضحية بسمعة أمريكا ونفوذها !

الاستعمار الانجليزى سبب الجهل والفقر والمرض

وقال : إننا نعزوا ما نحن فيه من جهل وفقر ومرض الى وجود الاستعمار ، ولقد وصفت حالتنا هذه لاحد رجال أمريكا وهو مستر بريفتون ، فكان لطيفاً منه أن يعترف بأنه يقرأ على حوائط مصر أن الاستعمار هو سبب هذه الحالة

العظيمة . إننا لا نريد إلا أن نحصل على استقلالنا وحرياتنا ، ونحن بذلك لا نعنى الكراهية والعداء لأحد . وان مصر لا تريد أن تتخلص من مستعمر لتقع فى أحضان مستعمر آخر .

وقد ذكر حافظ باشا لمحدثه أنه لم يزر أمريكا أخيرا نظرا لأزمة الدولار ، وانه قد بلغه أن أمريكا على استعداد لان تمنح مصر قرضا قدره مائة مليون دولار ، بشرط أن تصل مع انجلترا الى اتفاق .

وقال إنه يرجو أن تعطينا امريكا نصف هـذا المقدار فقط وتتنازل عن الشرط المذكور !

وقال إن من حسن حظ أمريكا أنها تخلصت من الاستعمار بل الاستعباد البريطانى منذ حوالى قرنين من الزمن ولولا ذلك لظل رابضا فيها الآن . وان أمريكا قد ذاقت مرارة هذا الاستعمار لهى أولى الدول فى أن تساعد الشعوب الناهضة على التخلص منه .

واستطرد فذكر أن واجب العالم هو ايجاد وحدة اقتصادية عالمية وازالة الحواجز والعوائق الجمركية حتى تتساوى الفرصة لدى جميع الشعوب الى طريق الرقى والانتعاش وبذلك تتلاشى المطامع الاستعمارية .

وثائقنا أمام مجلس الامن

لا ينشر شيء له صلة بتحضير خصومتنا ضد بريطانيـا ، حتى يتولانا سرور لا يغيب عنا سره .

فالعقلية السياسية المصرية الآن ، تنتقل بهذه الخصومة ، إلى دور نقاهة ، نرجو أن يتصل بالشفاء التام ، ونعنى بالنقاهة ، هذا اليأس من أن ننال حقنا أو بعضه بطريق المساومة والمفاوضة ، ولعل من أعراض هذه النقاهة ، أن تقول الحكومة المصرية فى إحدى وثائقها الرسمية ، المذاعة أن بريطانيا لا تقاوم وحدة وادى النيل إلا لأنها تخشى أن تقوم فى هذه الرقعة من الدنيا ، دولة شامخة تبلغ عدة بنيها نحو ٢٥ مليونا وتجتمع لهـا هذه المكانة التاريخية الفذة ، وهذا النهر الفريد وهذه الخيرات العميمة ، وقد كان ذكر مثل هذه الحقائق الثابتة ، وقفا على الكتاب الذى يوصفون بل يوصمون بأنهم متطرفون ، يبغون الفتنة أو لا يخشون السجون .

ولكن ما كدت أفرغ من تناول هذه الكراسات الصغيرة ، الجافة ، التى أعدتها وزارة الخارجية ، والتى أعدتها هيئة المستشارين ، حتى أحسست باحساس المحامى الذى يطالع قضيته ، فيرى فيها أوراقاً ، ذات قيمة ولكنها ليست كل المطلوب ، أو ليست عين المطلوب ... ولقد رأيت أن التنبيه إلى استكمال هذه الوثائق ولفت النظر إلى نوع خاص منها ، لا يجب أن يتم همساً ، بل إن النفع فيه يتأكد ويتضاعف لو تم علناً . إذ أن قضية وادى النيل ، ليست قضية ، حقا ، إنما هى كذلك مجازاً ، والحق أنها معركة ونضال ، وقد سميت كذلك لأن الذين

---

* جريدة الاهرام .

دافعوا عنها خلال ربع قرن أو يزيد كانوا من المحامين الذين نقلوا من مصطلح فنهم إلى هذه المعركة الشائكة الألفاظ والأسماء ...

فهي معركة، ولا أمن في نجاحها، ما لم يتهيأ شعور الشعب لها ويشارك في تتبع مقدماتها ومسايرة تفاصيلها، والأستجابة العاطفية لكل مايسبقها . من هنا ألفت الأمم على توديع جيوشها إلى ميادين القتال، كما تودع العروس في يوم الزفاف، أى بالتهليل والتصفيق، والخطب والقصائد، وعقود الزهر وصيحات التمجيد والتكبير من النساء والأطفال ...

فلنقل علنا إذن وعلى مسمع ومرأى من الأمم قاطبة أن الحجة الكبرى التى تتذرع بها بريطانيا وتقيم عليها دفاعها أن مصر ارتبطت بمعاهدة سنة ١٩٣٦ كما ترتبط الأمم بالعقود، وأن ميثاق العصبة لم يأت ليشيع روح النكث بالعهود . وأن الاكراه الذى أبطل هذه المعاهدة لا أثر له فى غير خيال المصريين، بدليل ما قاله كل زعيم من المصريين الذين وقعوا المعاهدة .

وقد اوردت الاجيبشيان فى الشهر الماضى مختارات منها تفيض بالتأييد المعاهدة والفخر بها .

ولنقل للامم ايضا ان ما تنكره بريطانيا من تكرر عدوانها علينا ليس إلا من الواقع الذى تثبته الاوراق التى تفيض بها ملفاتنا الرسمية .

ولقد شاءت الصدفة السعيدة أن ألقى اليوم سعادة حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى، فاذا به يؤيد ما ساورنى ويقول انه يود ان يقترح على الحكومة أن تستخرج من ملفاتها الاوراق الرسمية المثبتة لتدخل بريطانيا الصريح، بعد عقد معاهدتى سنة ١٩٣٦ ومونترو فى سنة ١٩٣٧ لتكشف للعالم كيف كانت الحكومة المصرية تعانى ضغطا فى الصغيرة والكبيرة من أخص شئوننا التى لا تهم بريطانيا ولا تعكر أمنا .

وقال إن من الأمثلة التى يذكرها فى عهد وزارة محمد محمود باشا فى سنة ١٩٣٨ ان السفارة البريطانية طلبت رسميا وكتابة ألا تقدم تشريعات الضرائب الجديدة

لمجلس البرلمان إلا بعد أن يتصل السفير بحكومته فى لندن وقد أبى يومها حافظ باشا الاستماع إلى هذا الطلب العجيب فلم يلتفت إليه . وفى سنة ١٩٤٥ طلبت السفارة البريطانية كتابة أن تكلف إحدى شركتين هندسيتين وكهربائيتين لتنفيذ مشروع من المشروعات . وفى سنة ١٩٤٤ طلبت كتابة أن يعزل رئيس احدى الجمعيات بدعوى أن القيادة الجوية العليا البريطانية والقيادة العامة فى الشرق الأوسط طلبتا ذلك — وفى الانتخابات طلبت رسميا وكتابة إسقاط مرشحين ومنع بعضهم من الترشيح . وفى عهد الوزارة الوفدية عترضت الوزارة أيضا على قانون مكافحة الأمية لأنه يتضمن تمييزاً مجحفاً للاجانب ...

هذه الوقائع يجب أن تظهر وأن تعد ، وأن يطلع عليها الرأى العام العالمى ليحكم ضميره قبل أن يحكم قضاته بأن بريطانيا كانت ترغم الحكام فى مصر بما لا يحبون ، وتلزمهم بما يكرهون ..

هذه الوثائق لا يكمل ملف دعوانا بدونها ، فلتبحث عنها الحكومة ، وهى لن تجد فى ذلك السبيل عناء ولا عنتاً .

فتحى رضوان
المحامي

مصر والولايات المتحدة*

لقد كان صوت الدكتور أبو شادى المنبعث من الولايات المتحدة صوتا هادياً وقد أيد عندى كل جزئية من إيمانى بما يجب ان تكون عليه الدعاية لقضية وادى النيل فى امريكا وفى غيرها .

الدعاية ، هى جزء من السياسة ، تمهد لها أولا ، وتنفذ أغراضها ثانياً . بل هى كالجيش ، يحارب ويناضل ، ويرسم لنفسه الخطط الحربية ، ولكنه مع ذلك لا يتجاوز النطاق الذى ترسم الدولة لسياستها . فاذا انطلق الجيش على غير هدى ، عاد على بلاده بالويل ، واتلف الغرض من وجوده .

ولكن هذه الحقائق الكبرى ، لا تستوقف نظر أحد منا ، ولا تثير فى نفوسنا ما تستحقه من العناية بها ، فنحن نحسب ان الدعاية ، هى صوت نفتح له أفواهنا فينطلق . ثم نوجهه بعد ذلك ذات اليمين وذات اليسار ، فيأتى بالنتيجة فى الناحيتين ، بلا تغيير فى درجته ، أو طبقته ، أو نغمته . وهـذا عندى هو العبث عينه . ولا تزال الفكرة التى تقوم فى أذهاننا للدعاية ، أنها خطب تلقى ، أو نشرات توزع ، أو على الاكثر اجتماعات ومؤتمرات صحفية تعقد ، وهذه كلها ضرورية لأنها المظهر الخارجى للدعاية ، ولأن الدولة فى حاجة إلى أن تعلن للدول وللشعوب أفكارها بصفة عامة . ولكن الاجتزاء بهذا هو اكتفاء بالمظهر ، ووقوف عند السطح . والدعاية التى لا تعتمد إلا على هذه الوسائل هى فى حقيقة الأمر ، أشبه شىء بالقصور التى تبنيها شركات السينما ، يأخذك منها ظاهر فاتن ، فاذا استدرت خلفها ، وجدت لوحاً خشبياً رقيقا ، لا يخفى وراءه شيئا .

---

* الاهرام فى ١٨ ابريل سنة ١٩٤٧

- ولعل مرد الخطأ عند الكثيرين فى فهم الغاية من الدعاية وأساليبها ، وأسلحتها ، أنهم يحسنون الظن بالحكومات والشعوب ، وأن طبيعة الخير عند الناس كافية ، للتحدث اليهم عن حقوقنا ، حتى نستدر منهم العطف ، الذى يتبعونه بالمظاهرة ثم التأييد . والحق غير هذا .

إنى ضارب للقارىء مثلا .

فى سنة ١٩١٨ وضعت الحرب الكبرى الأولى أوزارها . وكان الارلنديون قد بدأوا يكافحون من أجل حقهم كفاحاً جديداً . فاتجهوا بابصارهم الى مؤتمر فرساى كما اتجه المصريون . وكان قد بدا أن الولايات المتحدة ستحتل المكانة الدولية التى احتلتها فعلا بعد خمس وعشرين عاما ، عقب الحرب العالمية الثانية . وأحس الارلنديون أن من واجبهم أن يوفدوا الوفود الى الولايات المتحدة لتقف فى صفهم . فانظر كم كانت نتائج هذه المحاولة عظيمة فى الظاهر ، وتافهة فى الواقع .

ففى الولايات ملايين تجرى فى عروقهم دماء ارلندية ، بل فيها مدن أو قل ولايات تكاد تكون ارلندية من منبت الشعر الى اخمص القدم ، فأمل الوطنيون فى أرلندا أن اخوانهم فى الولايات ، يستطيعون أن يكسبوهم عطف حكومة هذه البلاد الضخمة ، وأن يوجهوا سياستها الى ما فيه انصافهم ورد الحق اليهم . وكان للامل ما يبرره ، فقد تألفت جمعية اخوان ارلندا الحرة ، أو جمعية أصدقاء حرية ارلندا . وفى ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٢٢ اجتمع جمع غفير فى ميدان ماديسون وأعلنوا تأييدهم لقضية إرلندا ، ثم التأم مؤتمر الجنس الارلندى فى فيلادلفيا فى سنة ١٩١٩ ، فوفد له خمسة آلاف مندوب من مدن الولايات المتحدة المختلفة . ثم افتتح اكتتاب لجمع التبرعات للقضية الارلندية تجمع فى أقل من ٦ شهور مليون من الدولارات . وفى يونيه سنة ١٩١٩ وصل ديفاليرا ، وجعل يذرع الولايات المتحدة شمالا وجنوبا ، فيقابل فى كثير من المدن استقبال الغازى ، ويطوق بأكاليل الزهر ، ويغمر بالحب والعطف . وفى يونية سنة ١٩٢٠ ، انعقد مؤتمر

الحزب الجمهورى ، لبحث سياسة الحزب التى سيتقدم بها فى معركة الانتخابات لرئاسة الجمهورية ، فوضع من قراراته تأييد الجمهوريه الارلندية ـ التى كانت أملا بعد ، أو جنينا فى بطن الغيب ـ ثم انعقد مؤتمر الديموقراطيين ، فتابع الجمهوريين فيما ذهب اليه ، وحسب الارلنديون ان هذا كله سيؤدى الى مساعدة سياسة من الولايات المتحدة ، ولكن هذا كله لم يسفر عن شيء ، فقد وقفت الولايات من نضال الارلنديين بعد ذلك موقف المتفرج ، ودار بين ارلندا وبريطانيا ، نضال حام دام ، انتهى أمره الى ما يشبه القتال الرسمى بين دولتين. ذلك لأن الولايات المتحدة كانت قد رفضت أن تتدخل فى شئون أوروبا ، وتشبثت بأهداب العزلة .

فالدعاية التى لا تتصل بالمصالح ، ولا تخاطب سوى العواطف ، تعزى المكافحين وتسليهم فيما يحل بهم من كوارث الدنيا وغدرها . ولكن لا ترد لهم حقاً . ولذلك فلا بد على الحكومة ، أولا أن تضع لنفسها سياسة تغرى الحكومات بتأييدنا والوقوف فى صفنا .

والولايات المتحدة الآن ، على مفترق طرق ، وقد عبرت عما يساور ساستها بالرغبة الصريحة فى تأييد اليونان وتركيا . وهى لا تفعل ذلك الا لأنها ترى أن خطراً ما يتهدد مستقبلها فى الشرق الاوسط ، وهى لم تبت بعد فيما اذا كانت تدفع هذا الخطر ، الذى تحس به ، بتأييد النفوذ البريطانى المتضائل ، أم بتأييد أصحاب هذه المنطقة الأصليين ، أى العرب ، فالفرصة متاحة للسياسة المصرية ، وان كانت تحتاج الى شجاعة والاقدام .

وهذه الشجاعة لا تكمل إلا إذا أدركنا أن الحديث الى معسكر واحد ، من المعسكرات التى تتطاحن الآن ، فى رفق ومواربة ، هو أضعاف لمركز قضيتنا ، فنحن أمة تريد أن تعيش فى سلام ، وأن تعوض ما فاتها فى سنى النضال ضد الاحتلال والاستعمار ، وأمامها برنامج حافل من أعمال الأنشاء والتعمير ، فى

ميادين الاقتصاد والاجتماع والثقافة ، ولا بد لنا من استعانة بخبرة الخبراء ، وثروات الامم التي سبقتنا هذه الأيام في العلم والصناعة . فمن الخطل أن يظن ظان أننا سنغلق أبوابنا في وجه جماعة دون جماعة ، الا اذا رأينا أن مصلحتنا ومستقبلنا في إيثار هؤلاء على اولئك ..

وهذا كله لا تفهمنا الولايات المتحدة جيدا ، لاننا نترامى على أعقاب (الديموقراطية) في عبارات ابتذلها الاستعمال ، حتى انلف معناها . فالحديث عن موقف مصر في أيام العلمين ، وما بذلناه من أجل الدول المحاربة ، لم يؤثر في أحد ، بل كان الرد عليه ، أن طلبت بريطانيا منا التنازل عن ديوننا الاسترلينية ، وأن اجترأت جرائد لندن ، على القول بأن الدولة المصرية نضجت في ظل الجيوش البريطانية .. وانما تستطيع الولايات المتحدة أن تفهم جيداً ، لو رأتنا نوجه دعايتنا الى العالم بأسره . وان نطلب التأييد والانصاف من فرنسا وروسيا على السواء ومن بلجيكا والهند ، في وقت واحد ... هذا المنطق هو منطق فصيح صريح ، وليس أبلغ منه في التأثير والاقناع ...

***

أن مصطفى كامل باشا ، مؤسس الحزب الوطني ، لخص برنامجه في الدعاية في حديثه مع الكولونيل مارنج حينما لقيه في ٢٨ يناير سنة ١٨٩٥ على الباخرة ، وهما عائدان معا من فرنسا : فقد سأله الكولونيل ، مستخفا بشأن مصر ، « على من يعتمد المصريون في اوروبا من السفراء والمندوبين . »

فأجابه مصطفى كامل :

« لنا أوروبا بأسرها التي تناديها صوالحها العديدة بأن تنصرنا لنصرة تلك الصوالح التي سعيتم من يوم احتلالكم في تقويض أركانها » .

ولا تزال هذه السطور هي النبراس الذي نستهديه .

فتحي رضوان
المحامي

حفلة الحزب الوطني للصحفيين الاجانب

أقامت اللجنة العليا لشباب الحزب الوطني بعد ظهر أمس الأول حفلة شاي بفندق الكونتننتال للصحفيين الأجانب ، ورجال الصحافة الأفرنجية المحلية ، وشهدها حضرات مصطفى الشوربجي بك وطراف علي باشا ومنصور فهمي باشا والدكتور مصطفى القللي عميد كلية الحقوق والاستاذ موسكيللي أستاذ القانون العام بالكلية والدكتور محمود عزمي كما شهدها بعض اعضاء لجنة الحزب الادارية .

وقد بدئ الاجتماع بكلمة ألقاها الدكتور زهير جرانة بالفرنسية وتحدث فيها عن أثر ميثاق هيئة الأمم المتحدة في قضية وادي النيل ، فأبان أن هذا الميثاق يحظر على الدول المنضمة إلى الهيئة أن تعتدي على دول اخرى تتمتع بعضويتها .

ثم قال إن معاهدة سنة ١٩٣٦ لا تصلح سنداً للاحتلال البريطاني لأن كل ما يتناقض مع الميثاق يعد ملغى . وتناول وحدة وادي النيل . فذكر أن الساسة البريطانيين قد اعترفوا بها في تصريحاتهم المتكررة ، مستشهداً على ذلك بما ذكره المستر تشرشل في كتابه « معركة النهر » .

واعقبه الدكتور نورالدين طراف فألقى كلمة بالانجليزية قال فيها : إن الحزب الوطني يسره أن تخرج قضية وادي النيل من الحيز الضيق الذي فرض عليها إلى المحافل الدولية ، فهي قضيـة مضمونة الكسب ، لأنها ليست إلا قضية شعب يطالب حريته ويدافع عن حياته التي تهددها حركة الفصل بين مصر والسودان . وقال إن بريطانيا عاشت منذ بدء الاحتلال ونصب عينيها أمران : أحدهما أن

* الاهرام في ١٦ / ٣ / ١٩٤٨

تقصى عن النزاع القائم بينها وبين مصر أية دولة ثالثة ، والآخر أن تنتزع معاهدة من المصريين ، تتضمن إقراراً بشرعية وجودها فى البلاد .

وتلاه الأستاذ فتحى رضوان ، فقال :

إن عهد المعاهدات الثنائية قد انتهى أو أوشك ، ولقد اثبتت الحرب العالمية الثانية فشل المعاهدات . فبريطانيا حاربت إلى جانب روسيا عدوتها التقليدية ، كما أن ألمانيا حاربت الاتحاد السوفييتى قبل أن يجف مداد التحالف معه . والولايات المتحدة اعانت انجلترا دون أن تكون ملزمة بهذه الاعانة ، بل اعانت دولا كثيرة لم تتصل بها من قبل .

ثم مضى يقول : إذا أصرت بريطانيا على اعتبار منطقة قناة السويس حيوية لضمان سلامتها ، فان روسيا تمهد إلى اعتبار المضايق فى تركيا ضرورية لسلامتها ، وتواصل تدخلها فى البلقان . ولهذا تعد المعاهدة المصرية البريطانية بذرة من بذور الحرب العالمية .

وأعقبه الأستاذ عبدالحميد لطفى المحامى ، فألقى كلمة سعادة حافظ رمضان باشا وقد استهلها بان وجهة نظر الحزب الوطنى فى قضية وادى النيل لم تتغير منذ نصف قرن ، وان المحاولات التى جرت منذ سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٤٠ باءت كلها بالفشل ، وأخذت البلاد تؤمن اليوم بمبادئنا . فالجلاء ووحدة وادى النيل وحياد قناة السويس هى أسس الحزب الوطنى التى التف حولها اليوم جميع المصريين .

ثم قال : إن انجلترا منذ احتلالها مصر وهى تعلن أن هذا الاحتلال مؤقت ، وأن زمن الجلاء قريب ... وقد قطعت ٦٠ وعداً بهذا الجلاء ، ولكنها أرادت أن تدس فى معاهدة « سيفر » نصا يقضى بنزول حكومة تركيا لانجلترا عن حقوقها فى مصر ، فلما شعر الحزب الوطنى بخطر مثل هذا النص فى معاهدة دولية أرسل وفداً إلى أنقرة فى أثناء انعقاد مؤتمر لوزان ، وبعد مناقشته مع الغازى مصطفى كمال نجح فى إقناعه بأن حقوق مصر « ليست بالة قطن » تباع وتشترى فى الأسواق ، وعلى أثر ذلك أرسل الغازى إلى الوفد التركى بلوزان تعليمات برفض

هذا النص وبان يكون النزول عن حقوق تركيا مجردا عن ذكر المتنازل له . وعندئذ أصبحت مصر من الجهة الدولية مستقلة بسقوط سيادة تركيا ، فضاعفت بريطانيا جهودها لعقد اتفاق مع مصر مباشر . وتم هذا الاتفاق في سنة ١٩٣٦ .

وانتهى من ذلك إلى قوله : إن الحزب الوطني لم ينقطع عن محاربة هذه المعاهدة التي تبرأ منها حتى موقعوها . وهي مخالفة لميثاق الأمم المتحدة . ولذلك يمكن إلغاؤها والاتجاه إلى الجهات الدولية التي ردت لسوريا ولبنان استقلالها .

كلمة الدكتور نور الدين طراف
فى احتفال الصحفيين الاجانب

أيها السادة :

نشكركم كل الشكر على تلبية دعوتنا المتواضعة والواقع أن مجرد حضوركم للاستماع إلى آرائنا حول قضية بلادنا ومحاولة تفهم وجهة نظرنا إنما هو خدمة منكم لهذه القضية العادلة وكل خدمة لقضية وادى النيل تقتضينا نحن المصريين أن نحمل آيات الشكر وعرفان الجميل لمن يؤدونها ...

وأنتم رجال الصحافة وسفراؤها ... والصحافة هى القوة الموجهة والمعبرة عن الرأى العام محليا كان أو عالميا ، فاذا استطاعت الصحافة أن تتخلص من قيود الاغراض السياسية والمطامع الدولية لكى تقف تعرض القضايا عرضا عادلا خالصا لوجه الحق لأمكنها دائما أن تحيل من الرأى العام العالمى قوة هائلة تستطيع أن تقف فى وجوه الساسة المغرضين الذين يعملون لخدمة الأغراض الخاصة على حساب الحقوق الواضحة ... ولكان ذلك أوطد دعامة تقوم عليها المبادىء الجديدة مبادىء الاخوة والحرية والمساواة بين الأمم جميعا ...

ونحن وقد قررنا أن ننتقل بقضيتنا — قضية النزاع بيننا وبين الانجليز — إلى الهيئات الدولية ليهمنا أن تستمعوا إلينا وأن لا يكون لديكم ذرة من الشك فى عدالة مطالبنا ، حتى تكونوا عونا لنا بل عونا للحق فى أوضح صوره وأعدل اتجاهاته .

القضية المصرية التي تسمعون عنها كثيرا هذه الأيام ، هي قضية بسيطة متناهية في السهولة والبساطة ، فهي قضية شعب يريد التحرر من سيطرة شعب آخر ، وهذا هو لب الموضوع وكل ما أضيف إلى ذلك من تعقيد وحشو إنما قصد به تضليل الباحثين وصرفهم عن متابعته ودراسته .

فنحن أمة لا يجادل مجادل في تاريخها المجيد ولا فيما أسدته للعالم ولا فيما قدمته المدنيات المتوالية منذ فجر التاريخ من خدمات ... أمة قد اكتملت لها كل مقومات الحياة وأسباب البقاء كل ما نطلبه أن نعيش أحرار في بلادنا ...

وقد يبدو هذا عجيبا لا يستسيغه المنطق ولا العقل ، فانما تعلمون جميعا أن نيران الحرب الأخيرة قد اشتعلت واكتوى العالم بها سنين طويلة دفاعا عن الحرية وتأمينا للشعوب ضد الخوف الذي يبثه الاستعمار ...

وتعلمون أن بريطانيا قاتلت كما يقول ساستها دفاعا عن تلك الحرية ، فكيف بها تأباها على شعب هو عضو في هيئة الأمم المتحدة ، وصديق طالما أشاد محاربو الديمقراطية بصداقته وبما أداه لهم من خدمات يسرت لهم سبل النصر ..؟

ولكن العجيب أن هذا هو الوضع أيها السادة . مهما حاول الانجليز ببراعتهم في التخريج والجدل واللف والدوران ، أن ينقلوه أو يزعزعوه عن مكانه ... فبريطانيا تأبى أن تجلو عن بلادنا وأن نتحرر من سيطرتها السياسية إلا إذا ربطنا أعناقنا بتحالف معها دون دول العالم جميعا يقيدنا إلى عجلة امبراطوريتها .

فاذا ابينا ذلك وقلنا أن الصداقة لا تكتسب بالمحالفات والمواثيق وإنما تكتسب بالأعمال وإبراز النوايا الخيرة ، أشاح الانجليز عنا وجوههم وقالوا إذن فجنودنا باقية في أرضكم وعلى قناة السويس لتظل حرابنا مسددة إلى صدوركم .

وقضيتنا أيها السادة تبدأ من سنة ١٨٨٢ حينما جاء اسطولهم الضخم إلى ميناء الاسكندرية لأن نزاعا وقع بين الخديوي وبين وزرائه ، وكأنما كان يظن الساسة الانجليز أن اسطولهم موكل بتسوية الخلافات الداخلية بين حكومات الأرض جميعا

ففى مايو سنة ١٨٨٢ ازدحمت مياه الاسكندرية بقطع الأسطول البريطانى وفى ١١ يوليو من العام نفسه كانت مدافع الأسطول تدك مدينة الاسكندرية دكا منظما فى معركة من جانب واحد قاتل المصريون فيها مستبسلين ولكن بدون سلاح فكانت مذبحة يندى لها جبين المدنية خجلا وعارا .

وانتهت المعركة بطبيعة الحال باحتلالهم المدينة فكان ذلك فاتحة لاحتلالهم البلاد كلها .

ولم يدع الانجليز أن لاحتلالهم هذا سببا مشروعا بل كل ما قالوه يومئذ انهم جاءوا ليعيدوا النظام والأمن إلى نصابها وأن بقاءهم فى مصر مؤقت لا يلبث أن يزول . ولقد أحصينا عليهم نحو سبعين وعدا رسميا من رجالهم المسئولين خلال الأعوام القليلة التى أعقبت إحتلالهم للبلاد يتعهدون فيها بالجلاء ومع ذلك فقد بقوا حتى الآن ضاربين بوعودهم تلك عرض الحائط ...

وإن كان لوعودهم هذه دلالة ، فهى أنها تبرز احساسهم بأن وجودهم فى هذه البلاد لم يكن شرعيا حتى فى نظرهم ، فى أى وقت من الأوقات ، ولم يكن سند فى عرف أو قانون .

حتى إذا كان عام ١٩٠٤ وعقد الاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا وأمنت به انجلترا جانب فرنسا تنكر الانجليز لكل عهودهم ووعودهم واصبح بقاؤهم مستندا للقوة الغاشمة التى لا تقبل جدلا ولا مناقشة . وبقى الامر كذلك وكان طبيعيا أن يناضل الشعب المصرى ضد هؤلاء الغاصبين المستعمرين. وتزعم الحزب الوطنى حركة النضال الشعبى وبدأت المعركة فى سبيل الحرية بين شعب حي يطلب الحرية ومستعمر غاصب يتسلح بالقوة والطغيان .

ولقد كان يعرفون دائما أبدا أن مركزهم فى هذه البلاد لا يستند إلى حق أو قانون فعملوا جاهدين نحو تحقيق هدفين :

الأول : أن يحصروا النزاع بيننا وبينهم وأن يبعدوا أى طرف ثالث من التدخل فيه .

والثانى : أن ينتزعوا من المصريين فى صورة اتفاق أو معاهدة أو تحالف اعترافا يكسب وجودهم فى مصر الصورة الشرعية ويجعل من الاحتلال وضعا مرضيا عنه من المصريين .

في سبيل تحقيق هذين الهدفين عمل الانجليز دائبين وتذرعوا بكل وسيلة وطبقوا كل تجاربهم السابقة فى الاستعمار وانهاك البلاد المستعمرة . وأخذوا يطبقون وسيلتهم التى ابتكروها وهى وسيلة المفاوضة فدخلوا مع الحكومات المصرية فى سلسلة طويلة من المفاوضات كان القصد منها أن يفرضوا على البلاد اتفاقا يحقق لهم هدفيهم السابقين فانتهت جميعها بالفشل حتى اذا كان عام ١٩٣٦ وتحرجت الظروف الدولية وبدأت نذر الحرب تبدو فى الأفق توصل الانجليز بالضغط والتهديد المستتر أن ينتزعوا من الحكومة المصرية معاهدة ١٩٣٦ التى ثرنا عليها نحن أبناء الحزب الوطنى منذ توقيعها والتى ستسمعون عنها من غيرى من الزملاء .

***

فأنتم ترون أن الانجليز يثورون بنا اليوم إذ ننتقل بقضيتنا من المباحثات الثنائية بيننا وبينهم الى الوضع الدولى وما كان احراهم أن يرحبوا بذلك لو أنهم يعلمون أن بعض الحق يقف فى جانبهم ولكنهم يغضبون ويثورون لأننا بعرض قضيتنا على الهيئات الدولية إنما نهدم من أغراضهم الرئيسية أن تبقى المسألة بيننا وبينهم الى ما شاء الله .

ولأن حقنا فى اجلائهم عن بلادنا واضح بل لعل حجتنا مستمدة من منطقهم هم فى مجابهة الدول الأخرى كروسيا التى يتهمونها بأنها تبقى قواتها فى بلاد صديقة لأغراض استعمارية .

وهم يغضبون لاننا ننادى ببطلان معاهدة ١٩٣٦ لان فى بطلانها هدم لحجتهم التى يستندون عليها فى ابقاء قواتهم بأراض مصرية .

واننا لنسائلهم ان كان وجود قواتهم قد استمد شرعيته من تلك المعاهدة فبأى حجة ولأى سبب تعقبت قواتهم بوادى النيل من سنة ١٨٨٢ حتى سنة ١٩٣٦ ؟

أيها السادة :

إننا ذاهبون إلى الهيئات الدولية لا لكى نحتكم فاننا لن نقبل الا حكما واحدا هو الذى يقضى باخراج الانجليز من هذه البلاد دون قيد أو شرط .

وإنما نحن ذاهبون لنعرض على العالم المتمدن صفحات قديمة من أسوأ صحف الاستعمار البريطانى فى العالم ، وصفحات جديدة من أسوأ صفحات النفاق والرياء والخداع ، ثم لنطالب أن تقف الأمم المتحدة فى صفنا حتى ننال حقوقنا وحريتنا فان تم ذلك كان بها وأثبتت الهيئات الدولية أنها جديرة بأن تهيء لهذا العالم المتعب المضطرب عهداً جديداً قوامه السلام والأخاء ، أما إذا لم يلق نداؤنا مجيبا ، فاننا سنعود أكثر إيمانا بقضيتنا العادلة ، وبقلوب أشد إصراراً على انتزاع حقنا . وسيكتب بالدم المسفوك من جديد وثيقة حريتنا واستقلالنا .

كلمة الاستاذ فتحى رضوان المحامى

فى حفلة الصحفيين الاجانب

كانت المسألة المصرية فى مدى خمسة وعشرين عاما مسألة بريطانية بحتة يتداول فيها سراً مع الساسة المصريين بعيداً عن الكتاب والصحفيين والنقاد وبعيداً أيضا عن السواد الأعظم من الشعب المصرى .

وقد كان ذلك نكسة فى القضية المصرية ، فان الحزب الوطنى منذ نشوائه وهو يرى أن المسألة المصرية مسألة انسانية دولية ، وثيقة الصلة بالسلام العالمى ، فحلها لا يتيسر ، ويسهل ، إلا اذا فتحت لها النوافذ ، وأدرك الناس فى كل صقع فى الدنيا ما يدور حولها ، أو ما يتصل بها .

وكانت بريطانيا تسعى جاهدة فى أن تفصل عن مصر ، كل صديق يهمه أمرها ، أو كل ذى مصلحة يرى فى استقلال مصر ، حماية لهذه المصلحة . ولقد أبرمت بريطانيا مع فرنسا اتفاقية سنة ١٩٠٤ مؤملة ان تخمد الروح الوطنية التى كانت تجد فى التشجيع والتأييد والأدبى من بعض كتاب وساسة ونواب فرنسا ما يبعث الأمل أو يجدده . وعملت فى الوقت نفسه على أرهاب تركيا وإضعاف الصلات الروحية بينها وبين مصر حتى تحس مصر بالوحشة والعزلة ، فتسلم أمرها لساسة بريطانيا يفعلون بها ما يشاءون ويفرضون عليها من المعاهدات والشروط ما يختارون .

ولكن مع ذلك ذهبت جهود بريطانيا سدى فى انتزاع معاهدة من مصر تقر وضع الاحتلال البريطانى أو تضفى عليه الشرعية .

وقامت الحرب العالمية الأولى ، فوقفت تركيا وألمانيا فى جانب ، وانجلترا وفرنسا فى جانب . وكتب الفوز لبريطانيا ، فاستطاع أصدقاء بريطانيا من المصريين أن يظهروا على المسرح ، وقد تعلقت بهم الآمال ، بحكم القوانين الاجتماعية التى توجه شعور الجماهير الى حيث الفائز المنتصر . أعتبر أن الحزب الوطنى الذى ينادى بسياسة مخاصمة بريطانيا ، غير جدير بادارة السياسة فى عهد انتصرت فيه بريطانيا . فأسلمت البلاد قيادها لاصدقاء بريطانيا ، وقد طرق هؤلاء باب العميد البريطانى فى ١٣ نوفمبر وكانت تحيتهم له أنهم لا يبثون أحداً شكواهم الا ممثل بريطانيا فى الداخل ، أما الخارج فهم لا يلجئون بالشكوى الا لبريطانيا .

لجأ هؤلاء الساسة المصريون فى نهاية الحرب العالمية الاولى الى فرساى مؤملين أن يجدوا العون فى ساسة أوروبا الذين غمروا العالم مدة الحرب بتصريحاتهم عن حقوق الدول فى تقرير مصيرها .. ولكن خابت آمالهم فان صانعى السلام ، أو مشيدى العالم الجديد رفضوا أن يكلفوا أنفسهم عناء حتى فض مظاريف كتب الدعاية المتلاحقة التى كان الوفد المصرى يوجهها اليهم . فاتجهت الانظار عبر المحيط ... الى أمريكا . ولكن النتيجة كانت للاسف واحدة ... فعاد هؤلاء الساسة يلازمهم اليأس ، وتغمرهم روح الاستسلام والمفاوضة ...

فاوضت مصر بريطانيا مرات ، وفى كل مرة كانت المفاوضة لا تنحسر إلا عن صدمة جديدة لآمال الشعب حتى كانت معاهدة سنة ١٩٣٦ .

ثم أندلعت الحرب العالمية الثانية . ورأى الشباب المصرى على ضوء نيرانها المشبوبة حقائق جديدة .

ومن أهم ما رآه أن المعاهدات الثنائية ليست الا زيفاً . أو بعبارة أخرى أن عهدها قد انتهى أو أوشك ، فبريطانيا حاربت الى جانب روسيا ، مع أنهما فشلتا فى أن تبرما بينهما معاهدة فى سنة ١٩٣٩ وقد حاربت ألمانيا الاتحاد السوفيتى حرباً مرة ، ولم يكن مداد المعاهدة التى أبرموها فى سنة ١٩٣٩ نفسها قد جف

بعد . وقد أعانت أمريكا انجلترا دون أن تكون ملزمة بهذه الاعانة ، بمقتضى معاهدة أو محالفة ، بل انها اعانت دولا ، لم تتصل بها من قبل .

وجاء ميثاق هيئة الامم المتحدة ليعلن تحريم المعاهدات الثنائية ، حتى يحل محلها معاهدة انسانية ، بين الأمم جميعا . وبعض الناس يعتقد ان هذا التطور سيؤدى فى آخر الأمر الى ما يسمونه بحكومة العالم الواحد . التى يعتبرون أنها وحدها السبيل الى السلام المنشور الدائم بين الأمم . لأن هؤلاء يقولون ان الحكومات هى التى تبعث الحروب ، وتوقد نيرانها . ففى القديم كانت الحروب تقوم بين القبائل فلما دانت القبائل لامراء الاقطاع ، قامت الحروب بين الاقطاعيات ، فلما دانت هذه الى أمراء كبار يتقاسمون الحكم فى الدولة ، دارت المعارك بينهم فلما دانوا جميعا لحكم حكومة واحدة هى حكومة الدولة ساد السلام فى رقعة الدولة ، ونشبت الحرب بينها وبين غيرها من الدول .

ومن هنا نحن نعتقد ان التعاقد بين مصر وبريطانيا سيفهم فى الحال على انه محاولة لانشاء جبهة ضد روسيا أو غيرها من خصوم بريطانيا فيعكر هذا الجو الدولى ويثير المخاوف . فالعالم مصلحة فى الا تعقد بين مصر وبريطانيا معاهدة سياسية ولا محالفة عسكرية . واذا نجحت بريطانيا على الرغم من ذلك فى إرغام جماعة من المصريين على توقيع معاهدة فان هـذا نذير بأن الحرب الثالثة على الابواب . ولن ترفع روسيا يدها عن البلقان ولا أن تكف عن طلباتها الخاصة بالمضايق الا اذا أحست بأن بريطانيا لاتجمع ضدها الدول العربية وبلدان الشرق الاوسط الخاضعة لنفوذها .

نداء للعالم

على أننا وقد بينا أن دفاعنا عن حرية وادى النيل هو دفاع عن أمان وسلام الشعوب نطمع فى أن نجد غوثا من الشعوب المتحررة ، وأن نجد من أمريكا على وجه خاص فهما وأدراكا لخطر المعاهدة المصرية البريطانية ، ويجب أن

نطمئن كل مشتغل بالسياسة العالمية على أنهم إذا كانوا قد رأوا الى الآن فى مصر مدرسة واحدة من الساسة لا تفكر الا بالعقل البريطانى ولا تتذوق سوى ما يسمى بالعدالة البريطانية فانه قد نبتت جماعات فى مصر لا تعرف سوى مصلحة وادى النيل المتفقة مع السلام العالمى وأن هذه الجماعات لتمد يدها الى كل من يريد أن يقف فى صف القضية المصرية السودانية . ولعلنا نرى بعد ذلك تعديلا فى موقف الدول التى كانت تنظر الى تطورات القضية المصرية نظرة سلبية فان فى هذا التعديل مصلحة لهذه الدول ومصلحة للبشرية جمعاء .

ذكرى احتلال الانجليز للقاهرة

١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢

نشرت جريدة الأهرام فى عددها الصادر يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ ما يلى :

« دعت اللجنة العليا للحزب الوطنى إلى اجتماع عقد بعد ظهر أمس فى قاعة الشبان المسلمين لمناسبة ذكرى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وقد أفتتح الاجتماع بتلاوة القرآن الكريم ، ثم وقف الدكتور نور الدين طراف وألقى خطبة قال فيها : إن أبناء الحزب الوطنى إذا كانوا يقفون اليوم ليتحدثوا بمناسبة ذكرى مشئومة من ذكريات تاريخنا الحديث ، فلأن الحزب الوطنى قد درج منذ بدء الاحتلال على أن يذكر المصريين فى كل فرصة بمآسى الاحتلال وجرائمه وكوارثه ، ودأب على يبرز أن أمام الشعب حقائق هذه الأيام السوداء التى سفك المحتلون فيها دمائنا ودمروا حضارتنا وأودوا باستقلالنا . ثم قال : إن الشعب يجب أن يعرف أن الانجليز هم خصومنا الألداء الذين يجب أن لا تأخذنا فى محاربتهم لين أو هوادة وأن أية محاولة للتقريب بينهم وبيننا ما داموا فى بلادنا إنما هو إجرام فى حق الوطن .

وتلاه الأستاذ محمود الحناوى المحامى فتحدث عن هذا اليوم من الناحية التاريخية وذكر الظروف التى لابست هذا الاحتلال . وكيف أن الأنجليز دخلوا مصر مخاتلة وانتهكوا حياد قنال السويس وعبثوا بميثاق « ترابيا » الذى وقعوه قبل ضرب الاسكندرية بأيام . واستخلص من التاريخ ثلاث حقائق :

الأولى أن الانجليز ما دخلوا مصر لحماية الخديو ، والثانية أن المصريين الذين

وثقوا بالانجليز قد أساءوا الى بلادهم إساءة بالغة . والثالثة أن بريطانيا لاتراعى عهداً دوليا ولا تتقيد بحلف .

ثم وقف الاستاذ فتحى رضوان المحامى رئيس اللجنة ودعا الى مقاومة الاحتلال مقاومة منظمة . إذ أن البلاد قد سئمت من الخطب والهتافات وطلب أن ينظم الشباب فى جماعات حتى إذا حان الوقت لتضرب مصر ضربتها فتقضى على الاحتلال نهائيا وتظفر باستقلال وادى النيل كاملا وجدت شبابا مدربا قادرا . ثم طلب من الحكومة أن لا تقبض يدها عن تلقى المعونة من كل دولة ترغب فى عون مصر . فروسيا وإن كنا نعرف أن مؤازرتها لنا إنما هى لصالحها قبل أن تكون لنا فان المصلحة الوطنية تقتضى أن نتقبل منها هذه المؤازرة ونمد إليها يدنا لتعطينا سلاحا نقوى به جيشنا ونرهب به أعداءنا . وأخيرا طلب من الحاضرين أن يكتبوا عرائض إلى السدة الملكية بالتماس العفو عن الشبان الذين حكم عليهم القضاء المصرى أخيراً لأنهم أخافوا الانجليز فى الاسكندرية ببعض القنابل اليدوية .

ونكتفى هنا بنشر كلمة الأستاذ محمود الحناوى المحامى والسكرتير المساعد للجنة العليا .

كلمة الاستاذ محمود الحناوى المحامى فى احتفال الحزب الوطنى

فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٤٧

دخل الانجليز مياه الاسكندرية محتالين ، وضربوها محتالين ، ومن المضحكات المبكيات أنهم قبل ضرب الاسكندرية بأيام دعوا الى مؤتمر فى ترابيا من ضواحى الاستانة فى ٢٣ يونيو سنة ١٨٨٢ ، كتبوا فيه ميثاقا بينهم وبين الدول الخمس العظمى ، فرنسا والمانيا والنمسا وروسيا وايطاليا ، وأسموه ميثاق النزاهة ، تعهدت فيه الحكومات ومنها انجلترا « بأنها فى كل اتفاق يحصل بشأن تسوية المسألة المصرية لا تبحث عن احتلال أى جزء من أراضى مصر ولا الحصول على امتياز

خاص بها ولا على نيل امتياز تجارى لرعاياها لايخول لرعايا الحكومات الاخرى».
كانت انجلترا توقع هذا الميثاق فى ترابيا ، وكان جيشها يعد وسائل القتال ، وأميرالها سيمور يبحث فى جعبة الحاوى عن ذريعة يضرب بها الاسكندرية ، وطريقة يصور بها أن الأمن فى مصر مختل مضطرب حتى يكون احتلالها مقرونا بعطف الأوربيين .

واستطاعت فى دهاء أن تخدر العرابيين ، وتوهمهم أن أسطولها جاء الى الاسكندرية لينصر حقهم ويوطد مركزهم لدى الخديو ، واستطاعت أن تجتذب الخديو نفسه ، فسافر الى الاسكندرية قبل ضربها بيومين ، وهناك فى سراى رأس التين استقبله الاميرال سيمور .

«لقد جئنا نعزز مركز الخديو وننقذه من الثوار» . يالها من عبارة فاجرة . من ذا الذى دعاكم أيها الطفيليون ؟

وأخيرا عرف العرابيون أن الانجليز لم يجيئوا الى الاسكندرية لنصرتهم ، أما الخديو فلم يفطن الى حقيقة هذا المجىء وانخدع بظاهرهم ، وما حسب أنهم قراصنة سارقون ، فأخذ يصدر البيانات والمنشورات للناس ليأمنوا جانب الانجليز ، وأخذ عرابى يستعد فى كفر الدوار ، وأخذ المدد يترى على الاسكندرية .

كان الجيش المصرى ١٣ الفا وانضم اليه الأعراب ، ولم تكد البلاد تعلم نبأ الاعتداء على الاسكندرية ، حتى هبت تجود بأموالها وأبنائها ، ولكن الضربة كانت مفاجئة ، والخديو الحاكم الشرعى للبلاد كان فى صف الانجليز ، الى أى الفريقين ينتمى الناس ؟ هذه هى الحيرة التى أراد الانجليز أن يدخلوا فى دخانها مصر ، أرادوا أن يكتسبوا السلطة الشرعية الى جوارهم لينقسم الجيش على نفسه بين مجاهد فى سبيل بلاده ومحافظ على عهد الولاء لصاحب السلطة ، ولينقسم الاهلون أنفسهم ولتخلق فى صفوفهم جواسيس وخونة ، ولتتخذ من فضيلة الولاء سلاحا قتالا تضرب به فى الأوصال . وكان لها ما أرادت .

كانت الخزانة خاوية على عروشها ، والخديو فى الاسكندرية يصدر البيانات ويستخدم الأعوان ، والجيش عدده قليل ، وقواده بين مشفق على بلاده وبين منطو على الولاء لخديويه ، والشعب مضلل لا يدرى ما المصير ، كانت فترة اضطراب وتبلبل فى الأفكار ، حتى اذا استفاقت البلاد من هذه الحيرة ، وعزمت أمرها على المقاومة ، واتفقت كلمة أمراء البيت العلوى مع كلمة الشعب للنضال فى سبيل الوطن ، هب الجميع للجهاد .

ولكن هذا الاستيقاظ كان متأخرا فقد أعد الانجليز خمسين الفا لمهاجمة مصر ، وحسب عرابى أن الغزو لا بد أن يكون من الغرب لأن انجلترا لا تستطيع أن تنتهك حرمة الحياد الدولى لقناة السويس .

أسطورة مضحكة « انجلترا لا تنتهك الحرمات الدولية » .

هذه هى العبارة الفاجرة الثانية التى خدع بها دلسبس احمد عرابى فلم يردم القناة ولم يغرق شرق الدلتا . وكدس قواه فى كفر الدوار . حتى اذا رأى الحياد الدولى تلوكه بريطانيا بين انيابها فى فم قذر متقيح أمام العالم جميعا ، ورأى المدرعات البريطانية تدخل القناة هرع الى بلبيس والتل الكبير بعد فوات الأوان .

وفى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ هزم الجيش المصرى فى التل الكبير اثر معركة كالمهزلة ، جيش ضعيف وقيادة جاهلة وخيانة تنوش الصفوف .

* * *

هذه هى صفحة العار التى يجب على كل مصرى ان يتذكرها لا ليخجل منها ولكن ليمحوها .

إن الجيش المصرى الذى هزم الحيثيين واخاف كورش مؤسس الفرس وحمى العالم من عادية التتار وصفع الصليبيين ، وفتح مغاليق افريقيا ، وطرق أبواب القسطنطينية ، وسجل آيات البطولة فى حرب المورة ، وفتح عكا ، ورفع أعلامه عالية فى حمص وبيلان وقونية ونصيبين والقرم ، هذا الجيش لوثت اعلامه

الخيانة والغدر وضعف القيادة فى التل الكبير ، وعادت فلوله تجر اذيال الخيبة والفشل ورجع قائدة وقد جلل وجهه سواد ذلك اليوم الرهيب .

يوم لا ننساه حتى نمحوه من صفحة الزمن .

لم تكد تنتهى معركة التل الكبير حتى أمر الجنرال ولسلى فرقة الفرسان بقيادة درورى لو Drury Lowe أن تبادر بالزحف على القاهرة لاحتلالها .

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر الخميس ١٤ سبتمبر دخلت ثلة من الفرسان الانجليز لا تبلغ الألفين ثكنات العباسية ، وأمر عرابى أن يسلم الجنود المصريون أسلحتهم الى حفنة من الفرسان الانجليز ، ثم لبس عرابى رداءه العسكرى وأخذ سيفه وذهب هو وطلبة باشا ليسلما نفسيهما إلى القائد الانجليزى . وسارت حفنة من الفرسان البريطانيين ليلا إلى القلعة وتسلمتها من الأميرلاى الخائن على يوسف «خنفس» الذى فتح الطريق للانجليز فى التل الكبير وسلمهم مفاتيح القلعة فى القاهرة ، ثم احتل الانجليز قصر النيل وقشلاق عابدين وسلم الجنود المصريون أسلحتهم . وخرج بعض الاهالى من سكان باب الشعرية والحسينية يحملون العصى والحجارة ليحاربوا الانجليز ولكن محافظ العاصمة ابراهيم فوزى نصحهم وردهم الى منازلهم.

هذه قصة ١٤ سبتمبر ، مدينة كبيرة يبلغ تعدادها نصف مليون يدخلها الفان من الجنود بغير مقاومة ، ولو بصق أهل القاهرة فى غضب فى وجوههم لأحرقهم هذا البصاق .

ولكن بيانات الخديو وتصديقه لوعود الانجليز، وسموم الخونة التى نفثت فى الصفوف ، والقيادة العاجزة الجاهلة ، كل ذلك مهد السبيل أمام الانجليز فدخلوا القاهرة ولم يصب واحد منهم بوخزة إبرة ولم يدم لهم إصبع ولم تفقأ عين . ووصموا الشرف المصرى بذل لم يمح بعد، ودخلوا بلادنا مدعين الصداقة لبعض المواطنين ، ولم يفق أولئك الذين عاونوا الانجليز وساعدوهم إلا بعد أن أحسوا

بأحابيل الأخطبوط البريطانى وقد لفت على أعناقهم وعصرت بلادهم عصراً وضربت نطاقا بينها وبين التقدم وحاصرتها بالفقر والجهل والمرض .

هذا هو التاريخ وفيه ثلاث حقائق :

الحقيقة الأولى : أن الانجليز ما دخلوا مصر لحماية الخديو ولا لاستتباب الأمن وأنهم ما كانوا ليستطيعوا دخولها لو أعلنوا حربا أو أظهروا عداء ، فقد كانت البلاد قادرة أن تصليهم نارا وتأخذهم بالعذاب الذى أخذت به الحملة الفرنسية من قبل ، وكانت قادرة أن تريهم من ألوان البطولة والتضحية ما اشتهرت به فى تاريخها الطويل ، وما رأوا بأعينهم نماذج له فى يوم التل الكبير الحالك على يد البكباشى محمد عبيد ذلك البطل المصرى الخالد الذى أبى أن يتراجع وظل يقاتل فى نفر من جنده حتى استشهد معهم ، وصعدت روحه الى السماء لتضىء جانبا من جوانب ذلك اليوم المظلم .

والحقيقة الثانية : أن المصريين الذين وثقوا بالانجليز قد أساءوا إلى مصر إساءة بالغة ، وقد عرف الانجليز أن أمثال هؤلاء المغرورين فى صداقتهم هم على مر السنين ، أداة بقائهم فى مصر ، فأخذوا يجمعون حول قصر الدوبارة الأصدقاء من طالبى الجاه ، وصائدى المال ، ونفثوهم فى البلاد واستعانوا بهم على قتل الروح الوطنية ومقاومة الوطنيين ، وذهبوا يغنون أسطورة الصداقة بين مصر وبريطانيا ويرنمون أغانى المحالفة والمهادنة والمعاهدة .

والحقيقة الثالثة : أن بريطانيا لا ترعى عهدا دوليا ولا تتقيد بحلف ولا تعرف حيادا ، تتمسك بكل هذا لتجنى فائدة وتنسى كل هذا لتنتهك حرمة .

هذه هى الحقائق التاريخية نعرفها ويعرفها الزعماء ، ومع ذلك كان منهم لبريطانيا أصدقاء ومعاونون وكتبوا معها معاهدة وتنافسوا فى ارضائها ومهدوا لها سبيل النصر فى حربها ولم يتعظوا بالتاريخ وسنوا فى أيام محنتها القوانين لحماية

جنودها ومكنوا لهم من أنفسنا وأعراضنا وأموالنا ، وملأوا الجو بالخطب والقصائد في مدحهم والثناء عليهم ومدوا لهم حلقات الرقص ، وأخذوا لقمة العيش من أفواهنا والكساء من أجسادنا ومتعوا بها هذه السائمات الحمراء ، ونسوا ضرب الاسكندرية ، ونسوا التل الكبير ، ونسوا دنشواى ، ونسوا الدماء الطاهرة الذكية التى تدفقت فى سنة ١٩١٩ من حناجر كانت تهتف لمصر وللحرية .

إن مصر لن تنسى أيام البأساء حتى تمحوها بالعمل المنظم المنتج ، وهذا الشعب الأبى قد جرب الدهاء البريطانى وعرف ما تساوى لديه المواثيق والمعاهدات ، وخبر عبثه بدول الغرب فى طرابلس وفرساى وجنيف وسان فرانسسكو وليك ساكسس ، وفهم أن الاستقلال لا يمنح ولكن يؤخذ ، واللص لا يعاهد ولكن يطرد ، الحق فى الميزان الدولى لا يساوى شيئا اذا لم تؤيده القوة .

« ومن حرص على الموت فى سبيل حريته وهبت له الحياة . »

وثيقة خطيرة يجب أن تقدمها مصر لمجلس الامن*

الانجليز أعدوا الانذار البريطانى

اعتمادا على قتل السردار ...

قبل قتل السردار !

فى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الاربعاء ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ انطلقت رصاصات خمسة من الشبان على قارعة شارع الطرقة الغربى عند التقائه بشارع قصر العينى ، وقد استهدفت شخص السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام ، فألقته جريحا ، ونقل إلى إحدى حجرات دار المندوب السامى ..

وفى ٢٢ نوفمبر شيعت جنازته ، وفى الساعة الخامسة قصد اللورد اللنبى ، إلى رئاسة مجلس الوزراء ليقدم الى رئيس الوزارة إنذارا ، وقد كان أهم ما فى الانذار من الناحية السياسية البند الخاص الذى قضى (بسحب الجيش المصرى من السودان وتحويل الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى إلى قوة سودانية تكون خاضعة وموالية للحكومة السودانية وحدها).

وقد تحدى الانذار كل تقليد سابق جرت عليه الدبلوماسية حتى فى حالة الغضب وانتواء الحرب وظن نظارة المسرح السياسى أن اللورد اللنبى لم يستطع أن يكبح جماح غضبه فاندفع مع حماقة الانتقام يسود ورقة من أوراق المندوب السياسى مدركا أنه لن يعترض سبيله معترض .

ثم ارتفع الستار عن المسرح قليلا قليلا وتتابعت الحوادث ، واستطاع البعض أن يتسرب الى ما وراء المسرح نفسه ، فاذا بحقائق هائلة ومذهلة ، تنكشف وتبين ، فيبدأ البعض يتساءل أيكون (السيرلى ستاك) ، وهو غوردون آخر ،

* آخر ساعة ٦ أغسطس سنة ١٩٤٧

رأت بريطانيا أن تقدمه على مذبح أطماعها الاستعمارية لتكسب به السودان نهائيا ، بعد أن قدمت رأس غوردون — لتكسب به اتفاقية سنة ١٨٩٩ .

إن مقتل السردار ، وقع بعد فترة من انقطاع حوادث الاغتيال ولم تكد الحادثة تقع حتى فر عنايت الى طرابلس حيث قبض عليه ، ولم يكد يقبض عليه حتى اعترف اعترافا كاملا ..

وليس هذا هو كل شيء فقد ذاع فى الأروقة السياسية أن وزارة الخارجية البريطانية تقول أن اللنبي تصرف بحرية فى كتابة البلاغ فلم يستأذنها ولم يراجعها فى نصوصه وعباراته ، وأن مجلس الوزراء البريطانى ناقشه بعد أن كان قد أبلغ فعلا إلى مصر ،

ومع أن هذا الذى تذيعه وزارة الخارجية البريطانية يعتبر من الحقائق المعترف بها فى كل كتاب بريطانى يؤرخ هذه الحقبة ، فان اللورد اللنبي لم يتلق من وزارته لوما ولا تقريعا ، ولم يسحب ولم يستقل كما حدث بعد ذلك بسنة ، بل ان اللورد اللنبي لم يتردد فى ان يقول للكاتب الفرنسي لويس برنو « ان الانذار الذى ابلغته للحكومة المصرية ، وكان نسخة من إنذار معد منذ زمن بعيد ومودع بمكتبي قبل مقتل السردار وقد اقتصر عملي على تعديل فى عباراته ، وجعل هذه العبارة أشد مما كانت ».

معد قبل مقتل السردار ! ومودع فى مكتب اللورد اللنبي !

كيف يفهم هذا ، إلا إذا صدقنا أن بريطانيا هى التى قتلت السردار لتطالب بالسودان تعويضا عنه ، أو أن السياسة التى أثبتتها فى الانذار كانت قرارا متفقا عليه ، ولم يكن يبقى على تنفيذه سوى وقوع المناسبة (أيا كانت) لاتخاذها ذريعة لبدء سياسة عنيفة كهذه السياسة ولدوس اتفاقية سنة ١٨٩٩ التى فرضتها بريطانيا علينا وذهب ضحيتها اثنان من المصريين هما بطرس غالى وابراهيم الوردانى ! على أننا لن نستسلم للحيرة طويلا فان اللورد لويد ، مندوب بريطانيا السامى فى مصر قد كشف عن الجانب الاكبر من حقائق هذا الموضوع الطريف من موضوعات السياسة البريطانية . فقد قال فى صفحة ١٣٣ من كتابه « مصر منذ عهد كرومر » :

« الحق أن التفكير فى إنشاء قوة دفاع سودانية من السودانيين وحدهم لم يكن ثمرة مقتل السير لى ستاك ، إذ كان واضحا للموظفين البريطانيين فى السودان منذ سنوات أن الموظفين المصريين فى حكومة السودان سواء أكانوا مدنيين أم عسكريين ، أداة فعالة منتجة فى متناول المصريين الراغبين فى استغلال السودان سياسيا . أما ما عدا هؤلاء الموظفين ، من بعوث قد توفدها مصر إلى السودان ، فقد كان من الميسور تعطيل نشاطها أو مقابلة هذا النشاط بمثله . ولكن ما دامت هذه الادارة الرسمية الفعالة فى ايدى المصريين فان الخوف من تمرد الجيش السودانى وانتقال عدوى التمرد منه الى بقية مصالح الحكومة ، سيتجدد وسيكون « عظيما » ليس من الممكن أن نحيط بكل الخطر الناجم من تبعيـة جيش فى أمة متأخرة كالسودان لدولتين . ولكنه كان خطرا حقيقيا متزايدا بفضل وجود مائتين من الضباط الاجانب (يعنى الانجليز والمصريين) وبفضل ما كان يتمتع به الضباط المصريون بحكم وظائفهم من سلطان كانوا يستغلونه فى التأثير فى عقول جنودهم مما يروونه من قصص عن المستقبل .

ولذلك لما استفحلت الدعاية المصرية المخربة فى الشهور الأولى من سنة ١٩٢٤ لم يكن ثمة سبيل مفتوح أمام السلطات البريطانية إلا أن تتخـذ ما يلزم لصيانة معنوية الجيش وحفظ النظام فيه ، ولذلك قد انعقد بالفعل مؤتمر (شخصى) فى أغسطس سنة ١٩٢٤ بلندن ضم المندوب السامى والحاكم العام للسودان ورئيس الوزراء وتدبروا فيما يجب عمله لمواجهة هذا الخطر (خطر الدعاية المصرية) .

وقد كان رأى مستر رامزى ماكدونالد كبير الوزراء أنه يجب طرد المصريين من السودان إذا لم يعدلوا عن سياستهم (أو إذا لم يعرفوا كيف يلعبون اللعبة). وفى ذلك الوقت كان مشروع القوة السودانية قد بدأ يتخلق ويأخذ شكله المبدئى . وقد تقرر فى الوقت نفسه تدعيم الاقتصاد السودانى وزيادة المساحات المنزرعة قطنا والتى تروى ريا نيليا لمواجهة النفقات الناجمة من تكاليف إنشاء قوة السودان الجديدة » .

وبهذا الكلام الصريح وضع اللورد لويد النقط فوق الحروف وكشف الستار عن أمور لو واجهت بها مصر بريطانيا أمام مجلس الأمن ، ولو تدبرتها الدول جميعا لزال عنا شعور الخوف من موقف قضية مصر والسودان والعلاقة بينهما أمام المحافل الدولية .

فبريطانيا مقرة بأن مجرد وجود المصريين فى السودان خطر ، وأن هذا الخطر دفع برامزى ماكدونالد الزعيم العمالى ، والوزير الاشتراكى إلى التفكير فى طرد المصريين جميعا من السودان ، إن لم يعرفوا كيف يتأدبون بأدب بريطانيا ، فيتحولوا إلى موظفين بريطانيين .

على أن اللورد لويد استرسل فى حديثه فقال: « ان قرارات المؤتمر (الشخصى) لم يكن ممكننا تنفيذها حتى تحين المناسبة ، وقد حدثت المناسبة بمقتل السردار ، فصدرت الأوامر بسحب الجيش المصرى » ، ووصف اللورد بقلمه الحوادث الدامية التى وقعت فى السودان عقب صدور هذه الأوامر ، وأبان للعالم كيف أن السودانيين قد استشهدوا وبذلوا دمهم احتجاجا على هذا الانسحاب ، وكيف أن هدلستون وكان حاكما للسودان بالنيابة حاول أن يقنع باقى الأورط السودانية بالعودة إلى النظام والعدول عن التمرد ، فذهب مسعاه عبثا ، فأطلق نيرانه وحصد الأرواح حصداً .

ولكن اللورد لويد يقول فى حسرة بالغة ، وحنق عميق : « كان من العسير أن تقنع الشعب السودانى أن القوات المنسحبة هى القوات المصرية وليست البريطانية ، فانهم لم يصدقوا أن تخرج مصر من السودان . »

وخلص اللورد لويد إلى السياسة التى آمنت بها بريطانيا وعقدت العزم على تنفيذها فقال :

« لقد انتهت السلطات البريطانية فى السودان إلى الاقتناع بأنه لا سبيل إلى وضع أساس متين للأمن العام فى السودان بغير المبادرة إلى إلغاء الحكم الثنائى ، وإعلان ذلك رسميا ووضع السودان تحت الوصاية ، وقد كانت تحت يد تلك

السلطات مستندات لا تجادل دلالتها ، مثبتة أن الثورة والتحرر قد دبرتهما أيد مصرية بزعامة ضابط مصرى من ضباط المدفعية وأن التحريض على الثورة استمر حتى بعد صدور أوامر الوحدات المصرية بالجلاء » .

ويندب اللورد لويد حظ بريطانيا لأن نصيحة الموظفين الانجليز فى السودان لم تقبل فى ذلك الحين ، ويرجع تردد أولى الأمر فى بريطانيا فى النزول على هذه النصيحة والعمل بها إلى خوف السير أوستن تشمبرلن من وقع هذه السياسة فى الوسط الدولى وإلى أن اللورد اللنبي كان يخشى ما ينجم عن هذه السياسة فى مصر من هياج سيؤدى الى إضعاف مركز زيور باشا الذى كان فى حاجة إلى المساعدة والتعضيد !! .

أرأيت كيف تسير السياسة البريطانية على قواعد ثابتة لا تعرف الارتجال ، وكيف أن ما يقوله غلاة المستعمرين قاطع بأن وحدة وادى النيل حقيقة من حقائق الطبيعة إلى حد الاعتراف بأن الحكم الثنائى لا يمكن أن يقوم فى السودان إلا رمزا ، لأنه إذا قام حقيقة اختل التوازن ، ورجحت كفة المصريين ، وشالت كفة الانجليز ، وخرج الأمر من أيديهم وتقوضت ثقة البريطانيين بالسودانيين وخافوا على حياتهم منهم ...

وكيف أن بريطانيا أعدت منذ البداية وقبل أن يقع حادث مقتل السردار الحبل الذى تشنق به الوحدة ، أو السكين الذى تقطع به الرأس من الجسد ..!

الحق أن بريطانيا تهنأ على رصيدها الضخم من النفاق فقد كانت تشق الجيوب وتصرخ وتولول على السير لى ستاك ! ولدها العزيز ، وهى ترقص فرحا لأن الفرصة لاحت ولأن المصريين سيطردون من السودان .

فتحى رضوان
المحامى

تكريم المعارضين لمعاهدة

سنة ١٩٣٦*

أقامت اللجنة العليا لشباب الحزب الوطني مساء أمس حفلة شاي في فندق الكونتننتال، تكريما للشيوخ والنواب الاحياء الذين عارضوا معاهدة سنة ١٩٣٦ وهم : أحمد خشبة باشا ، وبهي الدين بركات باشا ، ومحمد على علوبة باشا ، وحافظ رمضان باشا ، وعبد الجليل أبو سمرة باشا ، وعزيز أباظة باشا ، ووهيب دوس بك ، وفكرى أباظة بك ، والاستاذ مصطفى فودة بك ، والاستاذ عبد العزيز الصوفانى . وقد لبى الدعوة لفيف من الكبراء والمشتغلين بالسياسة . وبعد تناول الشاى ألقى الاستاذ فتحى رضوان كلمة بسط فيها الغاية من الاجتماع وحيا فيها المعارضين المعاهدة، ودعاهم للنضال من جديد للقضاء على البقية الباقية من روح هذه المعاهدة .

ثم تلاه الاستاذ يوسف حلمى المحامى ، فألقى كلمة ضمنها ذكرياته السياسية منذ أن كان طالبا فرجلا مشتغلا بالسياسة والمحاماة . ثم وقف رئيس الحزب الوطنى سعادة حافظ رمضان باشا وألقى كلمة « نشرناها فيما بعد » .

وتكلم سعادة علوبة باشا عن المحتفل بهم ، فشكر للجنة العليا لشباب الحزب دعوتها ثم تحدث عن بعض ذكرياته إبان عرض المعاهدة على المجلسين وكيف كانت الحكومة تمنع الاجتماعات وتصادر الرسائل الخاصة التى تضمنت رأيه فى المعاهدة . ثم قال إن الانجليز كسبوا فى معاهدة سنة ١٩٣٦ تأييد الاحتلال والاعتراف

---

* الاهرام بتاريخ ٩ / ١١ / ١٩٤٧ .

لبريطانيا بحق خاص لها على قناة السويس . وقد حاول الانجليز أن يضيفوا إلى هذين البلاغين ثالثة الاثافى ، وهو الدفاع المشترك الذى اقترحوه فى مشروع بيفن وحذر الحاضرين من الانخداع بما قد تدخله بريطانيا على هذا المشروع من تعديلات فى الصيغ تخفى السم فى الدسم .

كلمة وهيب دوس بك

ثم تكلم فى الختام وهيب دوس بك وقال إنه يعجب أن يقال شباب الحزب الوطنى لأن الذى اعرفه دائما عن الحزب الوطنى انه من أكبر كبير فيه إلى أصغر صغير كان يفيض بالشباب وقد كان رئيسه نفسه شابا لم يكتمل عمره خمسا وثلاثين عاما عند وفاته ، ثم قال إن اليقظة القومية التى نشاهدها هذه الايام لتدعو إلى الأمل فى مستقبل عظيم فان الحكومة القائمة اعتبرت الموافقة على فكرة الدفاع المشترك مع بريطانيا إهانة لمن تنسب إليه من الوزراء والحكام . وقد قدمت فعلا بعض الصحفيين بتهمة العيب فى الوزراء لأنها نسبت إليهم أنهم وافقوا على هذه النظرية . مع أن هذه الوزارة نفسها منذ أقل من أحد عشر شهرا كانت توافق على هذه النظرية وتدافع عنها وتبذل الجهود لاقناع الناس بها .

وقد نشرت مجلة « آخر ساعة » وصفا للحفلة ، قالت فيه تحت عنوان :

محام يقسم أنه سيقتل من يفاوض

أقام الحزب الوطنى فى الأسبوع الماضى حفلة شاى فى فندق الكونتننتال تكريما لأعضاء البرلمان الذين رفضوا الموافقة على معاهدة سنة ١٩٣٦ التى أسماها النحاس باشا (معاهدة الشرف والاستقلال).

وأبرز ما فى الحفلة أن الأستاذ يوسف حلمى ومن أعضاء الحزب وقف وقال : « إنى أعلن أمام الله وعلى رؤوس الأشهاد — وفى غير حماسة ولا انفعال —

أنى سأقتل بيدى أى رجل تسول له نفسه أن يذهب ليفاوض » .

وقد صفق الحاضرون لهذا التصريح خمس دقائق .

وقال حافظ رمضان باشا :

يسألونى كيف نحصل على السلاح ؟ وأنا أقول لهم إن الذى يعرف قيمة السلاح يعرف الطريق إليه ، والثوار فى كل العالم متسلحون ومحترفو السياسة فى مصر ، والمتزعمون يتساءلون وحدهم من أين لنا السلاح ..؟

وقال علوبة باشا :

إن معاهدة سنة ١٩٣٦ أعطت للانجليز حقين أحدهما شرعية الاحتلال والثانى الدفاع عن قنال السويس فجاء مشروع بيفن بثالثة الأثافى وهو الدفاع المشترك . كنا فى عهد كرومر نجد للأسف حرية فى مهاجمة الانجليز أرحب وأوسع من الحرية التى وجدناها فى ظل الديمقراطية البرلمانية النحاسية .

وقال الأستاذ فتحى رضوان :

إن اللورد اللنبى أرسل للورد كيرزون فى سنة ١٩٢١ يقول « إنكم تحاولون عبثا الحصول على مصرى واحد يوقع معاهدة مع بريطانيا لا تعطى كامل الاستقلال »

وقال مستر تشرشل فى كتاب (معركة النهر) أنه من أشد الأمور تأثيراً فى النفوس تعلق المغرمين بالسودانيين واستعدادهم للتضحية من أجل بقاء العلاقة بينهم حتى أنه قبل تكوين الرأى العام المصرى سنة ١٨٩٤ رفض شريف باشا الموافقة ولو سلبيا على سحب الجنود المصرية من السودان وبحثت بريطانيا عبثا عن رئيس وزارة مصرى يوافق على مارفضه شريف باشا .

فالتجأت إلى أرمنى واسندت إليه رياسة الوزارة .

وفى سنة ١٩٣٦ وجدت انجلترا رئيس وزارة مصريا هو النحاس باشا لينفذ ما أبرمه الأرمنى الذى لقيته بريطانيا .

خطاب حافظ رمضان باشا

سادتي :

أرى لزاما على أن أبدأ كلمتى بشكر حضرات منظمي هذا الاجتماع . عند دخولى هذا المكان وباستماعى إلى الخطب التى ألقيت أجدنى مدفوعا الى إثارة ذكرى أول جلسة عقدها مجلس النواب الفرنسى بعد انتصار فرنسا فى نوفمبر سنة ١٩١٨ إذ دخل القاعة شيخان من أعضاء المجلس وقد أحنت السنون الطويلة قامتهما فهب جميع الأعضاء لاستقبالها ووقوفا وحيوهما بغبطة وفى حماس ، والحق أنهم كانوا يحيون فى شخصيهما الايمان الذى لا يتزعزع فى حقوق ومستقبل وطنهما ولم يكن قد بقى حيا سواهما من النواب السبعة الذين رفضوا إقرار المعاهدة التى فرضتها ألمانيا على فرنسا فى سنة ١٨٧١ .

فهل بوسعى أن أقارن بين جلسة مجلس النواب الفرنسى الحماسية وبين هذا الاجتماع الذى أراد منظموه به أن يكرموا فى أشخاصنا الضعيفة البرلمانيين المصريين الذين رفضوا فى سنة ١٩٣٦ إقرار المعاهدة التى فرضتها انجلترا على مصر — هذا الرفض الذى عبر عن إيمانهم الذى لا يتزعزع فى حقوق ومستقبل وطنهم ؟

والحقيقة أننى ترددت كثيرا ياحضرات السادة قبل أن أقبل دعوتكم الكريمة . تكرموننا ؟ ولماذا ؟ ألأننا قمنا بواجبنا ؟ ولكن بعد التفكير تبين لى أن نيتكم ليست بلا شك قاصرة على تكريم أولئك الذين لم يفعلوا أكثر من الاستجابة إلى صوت ضمائرهم . إن غرضكم أسمى وأبعد من ذلك ، إنكم ترمون أن تضربوا الأمثال للأجيال القادمة ، إنكم تريدون أن تثبتوا أن الايمان بمستقبل مصر لا يضيع سدى ، تريدون أن تظهروا لهم أنه يحق للانسان دائما أن يقول «لا» للذين يريدون استعباد وطنكم .

ولم يكن بين أعضاء البرلمان حزب ناضل معاهدة سنة ١٩٣٦ سوى الحزب الوطنى ولم نكن نحن الوطنيين بقيامنا بهذا الواجب نستحق أى تكريم لأننا لم

نفعل سوى ما يمليه علينا برنامجنا ومبادئنا . وأما الذين يستأهلون هـذا التكريم والذين ننحنى أمامهم احتراما لشجاعتهم ووطنيتهم فهم أولئك الشيوخ والنواب المستقلون عن الأحزاب أو الذين ينتمون إلى أحزاب ساهمت فى إبرام المعاهدة والذين رفضوا مع ذلك إقرارها لأنها تتنافى مع مصلحة البلاد . فهؤلاء لهم منا يا حضرات السادة كل تقدير واعجاب .

ومما يزيد فى فضلهم أن مصر كانت تعيش وقتئذ فى ظل دكتاتورية برلمانية حقيقية ولولا سلطانها لما أمكن بحال إبرام هذه المعاهدة التى كان معظم موقعيها غير راضين عنها وقد جهر بذلك بعضهم منذ سنة ١٩٣٦ والبعض الآخر أخذ يصرح هذه الأيام بمعارضته لها . وقد كان من الضرورى حتى يتيسر توقيع هذه المعاهدة وإقرارها توافر تهديدات السير مايلز لامبسون الذى كثيرا ما قاومناه بشدة ، ووجود قوات الاحتلال الاجنبية على أراضينا ، وضغط دكتاتورية ذلك العهد البرلمانية . فاذا قالت مصر بعد هذا إن هـذه الوثيقة قد ألزمت بها إلزاما فانها لا تعدو بذلك الحقيقة .

فكيف يمكن أن تكون قانونية إتفاقية هذا شأنها ؟ إنى لم يتخل عنى أبدا الاعتقاد بأن معاهدة سنة ١٩٣٦ منافية لمصلحة مصر وأنها قد ولدت ميتة . أو لم أرفض على وجه الاستمرار أن أحتفل بالذكرى السنوية لتوقيعها وقد أعتبرتها الحكومة عيداً رسمياً حتى أنى قد ذهبت فى سنة ١٩٣٨ إلى قصر عابدين حيث قابلت كبير الأمناء وصرحت له أنى أرفض بتاتا أن أعتبر يوم ٢٦ أغسطس عيداً لاستقلال مصر وذلك لأن الاستقلال عندى يختلف اختلافا كليا عن هذا الوضع الذى يحتفل به وقد أكدت له بعد ذلك مرة أخرى بأنى لا أثق إطلاقا فى معاهدة سنة ١٩٣٦ التى لا أعترف بها مما أدهش كبير الأمناء الذى سألنى أية نتيجة يمكن أن يرتبها على موقفى هذا ، فأجبته : « ليس لى غرض سوى أن أسجل أن تخلفى عن حضور الاحتفالات التى تقام كل عام بمناسبة ٢٦ أغسطس لا يصح تفسيرها بما يمس واجب الولاء ولا يصح تعليلها إلا على ضوء عقيدتى الوطنية » .

وإذا كان اعتقادى الشخصى كان دائما ان معاهدة سنة ١٩٣٦ قد نشأت باطلة ولا أثر لها فان هذا لم يكن للاسف رأى الاحزاب الاخرى العديدة . والآن ولم تمض عشرة اعوام أحس بشعور الدهشة والفرح ان شاطرنى جميع المواطنين عقيدتى وهذا هو الحلم الذى تمنيت على الله أن يحققه قبل موتى . وها قد تحققت أمنيتى وعرفت الأمة المصرية ان انجلترا قد فرضت معاهدة سنة ١٩٣٦ على مصر وذلك كى تصحح مركزها القانونى بوادى النيل بعد أن حاولت عدة مرات تحقيق هذا المسعى فاخفقت وذلك منذ مفاوضات دروموند وولف ثم الاتفاق الودى مع فرنسا سنة ١٩٠٤ واخيرا محاولتها فى مؤتمر لوزان سنة ١٩٢٢ .

كثيرا ما وجهت بالسؤال الآتى « ماذا تستطيع مصر ان تفعله للتخلص من هذه المعاهدة المشئومة ؟ » وفى رأيى انه يجب على الحكومة المصرية ان تبدأ بتوجيه مذكرة رسمية الى بريطانيا العظمى طالبة منها الجلاء التام الناجز غير المقترن بشرط من الأرض الوطن وإذا رفضت انجلترا كما هو المحتمل هذا الطلب فان مصر تستطيع حينئذ الغاء هذه المعاهدة وكذلك اتفاقيتى سنة ١٨٩٩ ومهما تكن وسائل القهر التى ستتخذها انجلترا على اثر هذا الالغاء فانه من الأفضل لمصر أن تتعرض لمظاهر الشدة هذه من أن تقبل الاستعباد بمحض ارادتها واذا ما اجترأت انجلترا على الالتجاء الى وسائل العنف فان الشعور القومى فى مصر وفى الشرق الاوسط بأجمعه سيغلى ثم لا يلبث ان ينفجر بعد ذلك .

ولكن هذه كلها وسائل دبلوماسية أما ما يجب فى الحقيقة على مصر أن تعمله للتخلص من معاهدة سنة ١٩٣٦ فهو أن يعيد الشباب المتوقد بالحماسة الوطنية تنظيم صفوفه وأن يتكتل ويتحد بارشاد قادة مخلصين مستنيرين . إن مايعوزنا الآن هو زيادة الجيش المصرى وتقويته وامداده بمعدات القتال الحديثة ليصبح عصريا حتى يتاح له أن يعيد سيرته الأولى قبل الاحتلال الانجليزى منذ أيام محمد على الكبير إلى عصر اسماعيل .

ويجب على كل مصرى ضعيفا كان أو قويا شابا أو شيخا ، أن يعمل بتلك الحكمة التى ظللت دائما وفيا لها وهى : « أد الواجب ودع ما يكون » .

فهرست

ملحوظة :

لم يواتنا الحظ بنشر كلمة الدكتور زهير جرانه التى القاها فى حفلة الصحفيين الاجانب ، وسننشرها فى المجموعة التالية باذن الله ، ومعها كلمة سعادة حافظ باشا رمضان فى هذا الاجتماع ذاته .



مطبعة منبر الشرق بالقاهرة

طلب انضمام

حضرة صاحب السعادة رئيس الحزب الوطنى

٢١ شارع شريف باشا بالقاهرة .

بعد التحية ، أرجو قبولى عضواً بالحزب الوطنى . وأتعهد بأن أعمل بمبادىء الحزب ، وأهتدى بعقيدته ، وأن أبث ما استطعت بين المواطنين دعوته . وأن أحترم قوانينه وأنفذها .

وتفضلوا بقبول الاحترام .

تحريرا فى / / ١٩٤   الامضاء

الاسم ....

العنوان ....

....

نزكى هذا الطلب ونرجو قبوله .

امضاء   امضاء

قبل هذا الطلب فى يوم ....

امضاء

طبع الغلاف بدار النيل للطباعة